

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



تخصص : أدب حديث ومعاصر

فرع : دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

أدب الوصف في رحلة الأغواطي

إشراف الدكتور:

يوسف يوسف

إعداد الطالبتين:

زابور ليندة

قدور سامية

اللجنة المناقشة :

رئيسا

أ.د/ بالعجين سفيان

مشرفا ومقررا

د / يوسف يوسف

عضوا مناقشا

أ.د / بالحسين محمد

السنة الجامعية: 1441هـ/2144 هـ / 2020 م / 2120 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير لتوفيقه في إتمام هذا العمل المتواضع، كما أتقدم بعبارات الامتنان والشكر الى الأستاذ الدكتور يوسف يوسف لقبوله الإشراف

على هذه المذكرة وعلى كل المساعداً والنصائح التي قدمها لنا وعلى بعد

نظرة الدائم للأمور، كما أشكره جزيل الشكر على وقته الذي خصصه في

التصحيح والتقييم والتوجيه مضمون وأسلوب هذا العمل .

كما أتوجه بكلمة شكر وتقدير الى أعضاء لجنة المناقشة على صبرهم

وتجشمهم عناء القراءة والتقييم لهذا العمل . كما لا يفوتنا في هذا المجال أن

تقدم تشكراتنا الى كل من كان له الفضل في هذا العمل من قريب أو من بعيد

ولو بكلمة طيبة أو نصيحة عابرة .

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

{ربي أوزعتني أن أشكر نعمته التي أنعمت علي وعلى والدي وإن أعمل صالحا
ترضاه وأدخلني برحمته في عباده الصالحين} صدق الله العظيم {سورة النمل الآية
إلى التي أنارت بنور حبها المتدفق وحنانها الفياض درب حياتي، إلى التي ربت و كبرت و
صبرت، هاهي اليوم تراني أتوج بشهادة نجاحي، إلى قرة عيني و حبيبتي أمي الغالية
حفظها الله إلى الغالي الذي أفرج من عمره السنين لأصل لها هنا المستوى، إلى قوتي أبي
العزير حفظه الله إلى أخواتي الغاليات أطال الله عمر محبتنا

و إلى أخي بلال الذي كان سنداً لي

إلى كل صديقاتي وكل زملاءي في العمل

إلى كافة أساتذتي من الطور الابتدائي إلى الجامعي

وأخيراً إلى كل من عرفني وحبني

قدور سامية

إهداء

الحمد لله الذي جعل حمده أول آية في كتابه رحمته، أحمده على أن سخر لي الإرادة

والإمكانية للوصول إلى المطبغى المنشود.

إلى نبع الحنان وفيضه، إلى ملتقى العواطف، وبسمة الحياة ومعنى الوجود، إلى التي ضحت بسنين

شبابها من أجلنا، إليك أمي العزيزة أهدي هذا العمل

إلى الذي ضحى ورافق وأمن ووفر وعلم، وكان الحصن المنيع أبي الغالي إليك أهدي هذا المجهود.

إلى من كانوا سنننا لي في كل مشوار تشجيعا وتدعيما في أحلك اللحظات

إخوتي يوسف، إبراهيم، سفيان، خيرة وكنزة إليكم أهدي هذه الثمرة.

وإلى كل من له فضل علينا احتراما وتقديرا وحباً

لهؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل

ليندة زابور

مقدمتہ

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله الاطهار وصحابته الأخيار
ثم أما بعد.

يقول أبو الحسن المسعودي : "ليس من لزم جهة وطنه وقع بما نمي إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار وأستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه "

يعدُّ أدب الرحلة ذخرا معرفيا كبيرا، ومخزنا للذات الحضارية، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الواقعي والغريب مما شاهدته عيون تسافر وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويتفكر فيها. فالطبيعة والمكان والانسان والحياة، كل ذلك حاضر بقوة من خلال رحلة الاتصال واتصال الرحلة .، ليجد الباحث والدارس في مجالات عدة مادة دسمة يستطيع من خلالها الوصول الى مبتغاه من خلال هذه الرحلة أو تلك .

وتتميز الرحلة عن غيرها من الفنون بشراء مضامينها وتنوع موضوعاتها واختلاف مستويات أسلوبها، وفي وقت ليس ببعيد لم تكن الرحلات الا مجلدات تعجّ بها رفوف مكتبات التاريخ، وكان الدارسون ينظرون اليها باعتبارها وثائق تاريخية وخرائط جغرافية، أما اليوم فقد أصبحت الرحلات تستقطب دارسي الأدب ونقادها، لما تحتويه هذه الرحلات من عناصر أدبية وظواهر فنية تضيء عليها جمالية تقرُّبها من دائرة الأدب، ومن ثمَّ أصبحت هذه الرحلات تأخذ حيِّزا كبيرا في دراساتهم وكتابتهم كونها فنا يستوعب عدة فنون ويستجيب للدراسة وفق مناهج نقدية كلاسيكية ومعاصرة .

ونظرا لشغفنا الشديد بمعرفة الرحلة والرحالة وخبايا وأسرار الرحلات وما تحمله من مغامرات وعجائبية وأسرار، كان اختيارنا لرحلة جزائرية جاب صاحبها الصحراء وامتنعنا فيها بكل مارآه، بل عمق فينا البحث في هذا الجنس الأدبي المتميّز، تلك هي رحلة " الحاج بن الدين الأغواطي " التي

اخترناها للدراسة والتحليل ووسمناها ب "أدبية الوصف في رحلة الأغواطي ". وبغض النظر عن سبب كتابتها - فقد تميّزت بالمسار الجغرافي الهام الذي مسحته، نشاهد من خلالها ملامح الثقاف بين الأنا والآخر، وتوجهات وأبعادا استطاع أن يحوصلها في أربعة عشر صفحة من خلالها كشفه أنساقا مختلفة من شخصيات وأماكن وأشياء أُخر، ولما كان الوصف عاملا أساسيا في عملية السرد - فلا سرد بدون وصف - فقد اعتمد الأغواطي هذه التقنية بنسبة كبيرة جدا متجردا من عواطفه الذاتية وهو اجسه ليتفاعل مع مستجدات الحياة، فهل استطاعت هذه الرحلة أن تتجاوب مع معطيات المرحلة الاستعمارية وما ساد فيها من صراع محلي واختلاف ثقافي وحضاري مع الآخر ؟

وعليه تحاول هذه المذكرة أن تزيل الغبار، وتلفت الانتباه الى أدب الرحلة الجزائرية، الذي لم يجد لحد الآن ما يستحقه من اهتمام من قِبَل الدّارسين والنُقّاد الجزائريين، بدليل شحّ الكتابات في هذا الفن، ولعل رحلة الاغواطي هذه تكون سببا مقنعا في التقرب من هذا الجنس الأدبي المتميّز، بالدراسة والتحليل، فإن ذلك حتما سيساعد على إخراج كنوز هذا الأدب الى الفضاء الذي يسمح له بالتواجد في الساحة الأدبية الجزائرية على الأقل، وذلك لما لهذه الرحلة من أهمية بالغة واعتبارات خاصة، حيث كتبت سنة 1242 هـ - بطلب من قنصل أمريكا ساعتئذ بالجزائر، السيد وليام هودسون، وهي تقع في كراسة تحتوي على أربع عشرة صفحة، وكان القنصل قد طلب منه المزيد والتفصيل ولكن ابن الدين اكتفى بذلك القدر، وربما أن ابن الدين قد كتب أكثر من ذلك لنفسه ولكنه لخص للقنصل ما رآه كافيا ، وقد ترجم القنصل هذه الصفحات إلى الإنكليزية ونشرها، كما ترجمها السيد دافيزاك إلى الفرنسية عن النص الإنكليزي ونشرها أيضا مع تعاليق وتصحيحات قيل أنها هامة.

كما أن رحلة الأغواطي تعتبر كاميرا لطبيعة المكان والزمان، فقد نقل لنا الصورة من خلال ما التقطه سمعه من أخبار وما وقع عليه بصره من مناظر، وما شارك فيه من أحداث بأسلوب تتجلى من

خلاله شخصيته، وثقافته، ونظرتة للعالم من حوله، كل ذلك يجعل الرحلة الجزائرية قادرة على إعطاء صورة للمجتمع الجزائري من حيث ثقافته، وعاداته وتقاليده، وعلاقته بالآخر.

ولعل الوصف أهم عنصر في الأدب الرحلي سواء أكان تصويرا للعالم الداخلي أو العالم الخارجي من خلال الألفاظ والعبارات، ووظيفته تكمن في خلق البيئة التي تجري فيها أحداث السفر أو الرحلة باعتبار أن الوصف وظيفي أكثر منه تزييني تنميسي .. فهل وفق الاغواطي في نقل الصورة المركبة من عدة صور رحلية (طبيعة ومكانا وشخصيات) ؟ وهل أعطت رحلة الاغواطي الصورة الحقيقية للشعب الجزائري ؟ وكيف صورت الرحلة سلطان الأنا وصورة الآخر- بغض النظر عن سبب الكتابة كما أشرنا سلفا - ؟ وهل ساعدت هذه الرحلة على معرفة الانسان الجزائري - في حقبة زمانية معينة- ثقافة، عقيدة، تفكيراً .وعادات وتقاليد ؟ وهل حققت تقنية الوصف في رحلة الاغواطي بنية السفر وعلاقتها بالزمان وفضاء المكان ؟.

هذه الأسئلة وغيرها يحاول هذا البحث الإجابة عنها ممتطيا طريقة عمل تمثلت فيما يلي :

مدخل جاء بعد مقدمة تناولنا فيها تقديمنا للموضوع، عرّجنا فيه على أهمية الرحلة وموضوعها وإشكالياتها . والمدخل حاولنا أن نكون فيه دقيقين حيث اقتصرنا على علاقة الرحلة بتقنية الوصف لما للوصف من أهمية بالغة في هذا الجنس الأدبي باعتباره الأداة المحركة للسفر، المستحضرة لما رآه الرحالة وما سمعه، مبينين أدبية ذلك الوصف من حيث التعريف والوظائف والأشكال .

وقسمنا البحث الى فصلين حيث تعرضنا في الفصل الأول النظري إلى أدب الرحلة عموما من التعريف الى النشأة مرورا بمسار هذا الفن وتطوره معرجين على أهميته ودوره في المجتمع ممثلا في الاطلاع على المحيط الاجتماعي والجغرافي والتاريخي للأمم، مركزين على الأدب الرحلي في الجزائر في القرن التاسع عشر، لعلاقته بمتن الأغواطي . أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا، إذ كان محاولة للوقوف على محطات كثيرة ومتنوعة، عرضها الرحالة على قارئه ليستكشف ذلك المخزون في عمق الصحراء الجزائرية، من تاريخ وجغرافيا وعادات وتقاليد، وكل ماله علاقة بالإنسان في ذلك الزمان، وهنا تعرضنا

إلى أسباب ودوافع كتابة هذا النص الرحلي، منبهين إلى علاقة الرحالة بالقتنصل الأمريكي هودوسون الذي طلب منه كتابة هذا النص، ثم بينا مضامين كثيرة احتواها النص الرحلي كالجوانب الاقتصادية والعمرائية وصورة المجتمع الصحراوي آنذاك. بعدها وضحنا تقنية الوصف المعتمدة، ودور ذلك في الوصول إلى القيمة التي يعكسها النص. متسائلين عن مخاطر تلقي (الآخراغري) لهذه الرحلة؟ من جهة، ومن أخرى مدى مصداقية الرحالة الاغواطي عند المتلقي الجزائري لهذه الرحلة (الأنا) بعد معرفة سبب الكتابة طبعا، للوقوف على مخاطر النص الرحلي أنثروبولوجيا. وختمنا البحث بمجموعة من النتائج استخلصناها من خلال تتبعنا لنص الأغواطي محذرين في نفس الوقت من طريقة التعامل مع الأجنبي على حساب الوطن. فالوطن يبقى دوما عزيزا غالبا نذود عنه بكل مانملك فهو أغلى مما يباع ويوهب.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لفهم " أدبية الوصف " وما تقتضيه من خلفيات معرفية. وكذا لاستيعاب مضامين النص الرحلي متجولين من خلاله مع ما عرضه الكاتب الرحالة في استكشافه لما رأى وما سمع. بالإضافة إلى قراءة تحليلية للنص للكشف عن خباياه. مستأنسين بالمنهج التاريخي كأداة إجرائية حينما يقتضي السياق ذلك.

وحرري بنا في الأخير أن نشير إلى أن البحث قد استفاد كثيرا من الدراسات السابقة - رغم شحها - والتي كانت في معظمها تصب في خانة الكتابات الرحلية ونخص بالذكر ما كتبه شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله - رحمه الله - في كتبه "تاريخ الجزائر الثقافي" و "آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر" و "تجارب في الأدب والرحلة" بالإضافة إلى بعض الكتابات عن الرحلة ك"أدب الرحلة الجزائري الحديث (مكونات السرد) للكاتب عيسى بخيتي وبعض المقالات التي كانت تصب في صميم الموضوع. أما المدونة المعتمدة فتمثلت في "رحلات جزائرية (رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية) مجموع رحلات" تأليف وتحقيق أبي القاسم سعد الله

.ونشر : المعرفة الدولية للنشر والتوزيع -الجزائر- وقد صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية سنة 2011 .

بقي لنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم معنا في هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور "يوسف يوسف" الذي احتضن هذا البحث تأطيرا ومتابعة وتوجيها، والذي كانت لملاحظاته الأثر الكبير في تحديد الكثير من المفاهيم واختزال الجهود . كما لا ننسى أن نشكر الطاقم البيداغوجي لقسم اللغة العربية وآدابها، وبخاصة اللجنة المناقشة لهذا العمل . والشكر موصول إلى كل من كان له حظ الإشارة من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل . فإن وفقنا فمن الله وإلا فمن أنفسنا والشيطان، وعلى الله قصد السبيل وعليه التكلان .

تيارت 2021/06/25

الطالبتان : زابور ليندة

قدور سامية

مدخل

أدب الوصف في الأدب الرحلي

مازال الأدب الرحلي يعيش حالة من اللاتمام الى جنس بعينه، حيث تتزاحم أجناس أدبية متعددة، بحكم احتوائه على قواسم مشتركة بينه وبين تلك الاجناس الأدبية الأخرى كالرواية والسير الذاتية، فالنص الرحلي نص ملتبس من حيث كونه ينتمي الى الأدب أحيانا وإلى النص أحيين أخرى، وعليه تصبح إشكالية التصنيف، وبالتالي إشكالية الأدبية من أعقد القضايا التي تواجه النص الرحلي .

حول مفهوم الأدبية :

إن مفهوم الأدبية من المفاهيم الملتبسة في الممارسة النقدية نظريا واجرائيا، وربما رجع ذلك إلى الترجمة المتداولة لهذا المصطلح الأمر الذي جعل من الممارسة النقدية تدور في فلك المفاهيم البعيدة عن الدلالة العميقة لهذا المصطلح . ومن بين المظاهر التي جعلت هذا الالتباس واقعا معيشا نذكر :

- 01- هناك من يربط الأدبية بالأدب، رغم أن الأدبية تبحث في النص الأدبي والنص غير الأدبي .
- 02- الأدبية مفهوم متحرك عبر الزمان والمكان تبعا لتغير الأدب ذاته، فكم من نص أو عمل أدبي لم يعتبر في يوم ما تابعا للأدب، لأن معيارية الأدب الرسمي والمؤسسة المتسلطة لم يحظ عندها بالقبول . وإذا كان الأمر كذلك فالأدب الرحلي استفاد أو يستفيد كباقي النصوص من التحولات الأجناسية، ومن تطورات الجنس ذاته .

أدبية الرحلة :

عندما نقول أدبية الرحلة فإنما نقصد بذلك ضبط ما يحدد النوعية لهذا الجنس، وبعبارة أخرى استقلالية الأدب الرحلي من خلال خصائصه، ومميزاته عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، مع الارتباط بالحقل الأدبي السائد طبعاً . وعليه فالرحلة تحقق أدبيتها من خلال اقترابها أو بعدها عن الأدب، ومن ثمة يطرح السؤال الآتي : ماهي ملامح الأدب الرحلي المحققة لهذه الأدبية ؟ أو فيما تتمثل أدبية الأدب الرحلي ؟ .

المتتبع للدراسات المعاصرة والتي تناولت النص الرحلي بالبحث والتحليل والنقد يجزم أن هذا النص أصبح قادرا على مواجهة التهميش النقدي بفضل اشتغال بعض الباحثين بهذا الميدان. و" لعل هاجس الأدبية الذي استبد بالبحث والباحثين في هذه المرحلة يؤكد على الاتجاه نحو إنصاف هذا الجنس"¹، وسنحاول الاقتراب من هذه الأدبية من خلال تحديد بعض المرتكزات الأساسية .

- من أهم محددات الأدبية في النص الرحلي هيمنة بنية السفر، فتوفر السفر في كل النصوص الرحلية يجعل منه بنية أساسية حتى ولو كان السفر في هذه النصوص بنية ثانوية، والسفر فعل للارتحال وانتاج هذا الفعل يكون قصديا لسبب أو لآخر .

- وإذا أردنا أن نبحت عن شرعية أدبية لنص مازال خاضعا للأخذ والرد، فإن ذلك يتطلب البحث عن معيارية تفسر هذه الصياغة (أدبية الرحلة) والمتأمل لهذه الصياغة، يكتشف ربط الرحلة بالمعيارية الأدبية السائدة، فالإسناد يدل على جوهر هذه العلاقة المعيارية .

+وعلى هذا الأساس تصبح الأدبية مرادفة للشعرية التي تبحت في أدبية النص في حد ذاته، هذا النص المجاور لنصوص أخرى، وقد يتقاطع معها، حال الرحلة مع الرواية أو السيرة الذاتية، محققا بذلك خصوصية تفرّد بها وتسمح لنا بالحديث عن أدبية خاصة أو مميزة .

- ووصولاً الى هذه المرحلة يتم بواسطة تراكم نصي يسمح لنا بالحديث عن الجنس بدلا عن النص، فالنص الرحلي جنس أدبي قائم بذاته متميز عن غيره من النصوص ذو طبيعة مع نصوص يتقاطع معها .

ولا يقتصر السفر على فعل الارتحال ماديا، كون السفر يعاد انتاجه على مستوى الكتابة، "فالسفر ارتحال من خلال النص الذي يصبح رحلة على مستوى الكتابة، فالسفر ارتحال من خلال النص الذي يصبح رحلة جديدة تضيء الرحلة الفعلية السابقة"² .

¹ -انظر عب النبي ذاكر، المحتمل في الرحلة العربية الى اوروبا وامريكا الشمالية والتحاد السوفياتي، دكتوراه دولة 1998 اشراف سعيد علوش المغرب .

² -عبد الفتاح كليطو، القامات /ترجمة عبد الكريم الشرقاوي، دار طوبقال 1993 ص 127

والرحلة إذا حكاية سفر تعكس تجربة ذاتية غنية وإن لم تتجاوز الرحلة فضاء حجرة ما .

" ومن عناصر الأدبية في النص الرحلي انتمائها الى الكتابة البصرية مادام النص الرحلي عبارة عن صور متلاحقة في الزمان والمكان ¹ ففي المستوى الأول نجد الرحالة يهتم بالتخطيط والتشكيل انطلاقاً من الخارطة الجغرافية، مروراً برسومات المزارات والأماكن المقدسة أحياناً أو رسومات مدينة حديثة فيصف القطارات والمصانع والممرات والمعدات الحربية والأسلحة وغيرها .." ولم يجد الرحالة حرجاً في دعم مشاهداته بهذه الرسوم التي قد تفتقد جانبها الجمالي مادام الهدف هو الجانب المنفعي أو الاستفادة العملية من تجارب جديدة ² وهذا ما نلمسه في رحلة ابن الدين الاغواطي .

أما المستوى الثاني فيتعلق بالصورة الأدبية التي تتفاوت من رحلة الى آخر، حيث قد تصل إلى أعلى مراتبها الجمالية في نصوص محددة دلت على " شحذ الذات بأقصى مراحل الانفعال والتفاعل مع تجربة السفر ³ .

وفي المقابل نجد الصورة الأدبية في أغلبية الرحلات قائمة على الجانب الوظيفي، أي يهدف الرحالة إلى تقديم المعرفة بصورة المكان دون الاهتمام بالجانب البلاغي والجمالي كون الهدف هو الجانب المعرفي، حتى أن القارئ يشعر باقتراب اللغة في مثل هذه الحالات بأنها تقترب من لغة العامة أو اللغة اليومية .

ومن بين الخصائص للأدب الرحلي كذلك، تقديم خلفية الآثار ومخلفات الماضي التي تعكس تطور الحياة البشرية من حضارة الانسان الماضية وحياة الشعوب . فالرحلة لا يكتفي بتقديم المرئي بل يتخذ منه منطلقاً للعبور الى استرجاع تاريخية الموصوف وتحولاته، ومن ثم فالرحلة يعيد الصياغة لهذه الأمكنة بطوبوغرافية جديدة لاستكمال الصورة .

- قفصي فوزية / شعرية الوصف في ادب الرحلة ، مجلة التواصل في اللغات والاداب، عدد 37 مارس 2013 م الجامعي
الطارف ن ص 156 ..

- عبد الرحيم مودن، مستويات الرد في الرحلة المغربية خلال القرن 19 دكتوراه الرباط 1996 اشراف احمد الطرابلسي ص
92².

³ -م نفسه ص 93

ومن خلال ماسبق ذكره يصبح أدب الرحلة بمفهوم آخر " وسيلة تعليمية أخرى انتقل فيها الرحالة - من خلال تجربته الغنية - من الجاهل الى العارف ومن المتعلم المعلم وبالتالي الى مرسل جديد يعيد صياغة إرسالية نحو متلق يجهل عوالم الرحلة بمختلف مستوياتها " ¹

أدبية الوصف

لقد تعالق أدب الرحلة بأدب السيرة وبالرواية، حتى صار الكاتب والرحالة والراوي شخصية واحدة، تبدأ مغامرتها برحيل وتنتهي بالعودة منه، وبينهما يتخذ الرحالة شكلا من أشكال الحكيم يصب فيه مارأى وما سمع في يومياته أو رسائله أو مذكراته أو اعترافاته، يصوغها في النهاية رحلة أدبية تملك الخصوصية التي ينبني عليها أدب الرحلة مع وجود " تلك المسافات بين الذات الكاتبة والذات المرتحلة مثلما هي المسافات بين الحاضر والغائب " ² وإن كانت مكونات الخطاب تتشابه بين أدب الرحلة والرواية رغم خصوصية كل منهما، حيث أن خطاب الرحلة حكاية لتجربة قصدية لها أهداف مسبقة وتخطيط وحركة، وعليه فإننا سنركز على تقنية الوصف وحدود تداخلها مع السرد نظرا لطغيان هذه التقنية في الأدب الرحلي عموما وفي رحلة الاغواطي بصفة خاصة .

الوصف من أهم مقومات الفعل السردى إذ الأعمال السردية هي مراوحة بين السرد والوصف وعلاقة السرد بالوصف علاقة حركة وتوقف، حيث أن السرد تتابع والوصف إبطاء لتلك الحركة ، ويعتبر الوصف مقوم أساسي في أدب الرحلة حيث يطغى هذا الأخير على غيره من الأساليب، إلا أن هذا الوصف يمر في شكلين مختلفين، فقد يكون أحيانا تقريرا تنعدم فيه اللمسة الشعرية أو الأدبية وحينما آخر يكون فيه الابداع جليا أذ الوصف بواسطة التخيل يجعل منه خادما للعملية السردية، وخطاب الرحلة عموما وصف لمشاهد متنوعة .

¹ - عبد الرحيم مؤذن ادبية الرحلة . انطولوجيا السرد العربي / 02 مارس 2019

file:///C:/Documents and Settings/Administrateur/Bureau

² - الموسوعة العالمية فرنسا 2002 ص 02

إن النقاد المحدثين لم يولوا عناية كبيرة للوصف بالنسبة للكتابة الثرية بخاصة، وربما يرجع ذلك إلى غياب جهاز نقدي موروث خاص بالشر، في حين أن القدامى قد احتفوا بذلك شعرا . وعلى هذا الأساس نحاول تسليط الضوء على هذه التقنية باعتبارها مكونا نصيا جديرا بالدراسة والتحليل، مستعينين بالأدوات والوسائل المناسبة لطبيعة الوصف، علنا نقف عند الدور الذي يؤديه في رحلة الصحراء للأغواطي ابن الحاج، والوصف هو ما يؤكد زيارة الأماكن والمدن والجبال و البلدان المذكورة في الرحلة، كما يثبت لقاء الرحالة بالملوك والأعيان والشيخ والأولياء، وهذا ما نجد عند الأغواطي (وهو يركز على أماكن جغرافية لها أبعادها التاريخية والحضارية، وعلى أشخاص التقى بهم، وعلى عادات وتقاليد وجيوش وأقاليم وأمور دقيقة تدل على دقة الوصف وتلمس الرحالة لهذه الحقائق كلها)¹ .

والوصف لغة من وصف الشيء : حلاه وهو وصفك الشيء حليته، والوصف الامارة اللازمة للشيء² أما اصطلاحا "فهو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولها حتى يحكيه بشعره ومثله للحسن بنعته"³ ويقول قدامة بن جعفر في نفس الموطن " وأحسن الوصف مانعت به الشيء حتى يكاد مثله عينا للسامع"⁴ وعليه يكون الوصف عند العرب يعكس الصورة الحقيقية للأشياء يقول عبد المالك مرتاض : " وأجود الوصف ذلك الذي يحيط بأهم الجوانب التي يتركز عليها الشيء الموصوف، فيحول صورته المادية المألوفة إلى صورة أدبية "⁵ .

الوصف اذا يساعد على معرفة مظاهر الحياة المختلفة للناس في يومياتهم (حركة وسكونا) وأدب الرحلة من أبرز الأنواع السردية الثرية التي اعتنت بشكل واضح بوصف الأماكن والأشخاص

¹ راجع رحلة الاغواطي في وصف المدن.

² -ابن منظور، لسان العرب، م 09، مادة وصف، دار صادر بيروت ص 356.

³ -قدامة بن جعفر، نقد الشعر تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص 62

⁴ - نفسه ص 63

⁵ -عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1998، ص 285.

والعادات والتقاليد في جميع مناحي الحياة . ولذلك نجد الرحالة يتوخى نقل الحقيقة في أدبه الرحلي مصورا كل ما يشاهد وكل ما يثير انتباهه ويشد فكره - حتى وإن كان بسيطا - ناقلا أو متسائلا أو لحاجة في نفس يعقوب، كما فعل الأغواطي في رحلته .

ومن خلال الوصف يصبح النص الأدبي باعتباره مخزونا لمظاهر الحياة المادية التي ظهر في عصر من العصور، يعود إليه الباحثون لمعرفة حياة الناس وألوان معيشتهم في مرحلة من مراحل الحياة . ورغم ما في الوصف من أهمية في نقل الصورة أو الظاهرة لدى المتلقي - فإنه لم يحظ عموما باهتمام النقاد، حيث أننا لا نجد عددا كبيرا من الأعمال التي تناولت الوصف بالدراسة.

ورغم أن أدب الرحلة قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ والجغرافية والأنثروبولوجيا " إلا أنه لم يتم تناول الوصف منه مستندا الى خلفية نظرية، حيث توجه الاهتمام إلى عناصر الخطاب الأخرى، فأسقط بذلك الوصف من البحث والدراسة إلا ما قل أو ندر " ¹ ورغم ذلك يبقى الوصف شكلا من أشكال القول يبين كيف يبدو شيء ما، وكيف يكون مذاقه ورائحته وصوته ومسلكه وشعوره، ويشتمل استعمال الكلمة والأشياء والناس والحيوانات والأمكنة والمناظر . وبفضل علاقة الوصف بالأساليب الأخرى يقول عنه نيكولاس بوالو : " كونوا شديدي الإيجاز إذا سردتم، وشديدي الإطناب إذا وصفتم " ²، فالوصف يتطلب الإطناب خلاف السرد الذي يتطلب الإيجاز، وتبقى اللغة قادرة على استحياء الأشياء المرئية وغير المرئية من خلال ذلك الوصف، وبالتالي فالوصف " تصوير العالم الخارجي أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ والعبارات وتقوم فيه التشابيه والاستعارات مقام الألوان لدى الرسام والنغم لدى الموسيقي " ³.

علاقة الوصف بالسرد

¹ - قفصي فوزية، شعرية الوصف في ادب الرحلة، مرجع سابق ص 157-

² - غريد الشيخ، الأدب الهادف في قصص وروايات غالب خمرة ابو الفرج، قناديل، ط 01، 2004 ص 363.

³ - شريط احمد، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة الجزائر، 2009 ص 41

النصوص السردية تقدم أحداثا وأفعالا وشخصيات وأمكنة وأشياء أخرى، وكل ذلك يتطلب لغة واصفة، الأمر الذي يحيل إلى وجود علاقة حتى وإن كانت غير ملموسة يبدو فيها الوصف كأنه منعدم. " إذ لآنحس بوجوده أثناء القراءة السريعة، وتتمثل تلك العلاقة في وجود أفعال حركية ووصفية في آن واحد وهذه الأفعال في عملية وصفية "1 فعدم الاحساس بوجود الوصف لا ينفى وجوده . ومنه فوجود الوصف ضروري بل لازم لكل نص سردي عند بعض النقاد إذ لا يقوم النص إلا به، لما له من دور في ذلك النص، يقول جيرار جينات " بأن الوصف لازم للنص السردى، ذلك لأنه أسهل علينا أن نصف دون أن نحكي، من أن نحكي دون أن نصف "2 وكأن الوصف ملازم للحكي .

إن السرد والوصف كلاهما عمليتان متشابهتان يفرق بينهما خيط رفيع لأن ظهورهما يتأتى بواسطة مقاطع كلامية، إلا أن الفرق يكمن في كون السرد يعمل على التراتبية و"التتابع الزمني للأحداث في حين أن الوصف يمثل موضوعات متزامنة ومتجاورة في المكان "3 وعليه فوجود السرد والوصف معا أمر ضروري رغم ذلك الاختلاف البسيط ن ووجود السرد ينم عن وجود الوصف، فالأول لا معنى له إلا بوجود الثاني .

وظائف الوصف

إذا كان لا بد من وجود وظائف للوصف، فإنه يمكن حصرها في أمرين إثنين أو في وظيفتين اثنتين، الأولى جمالية والثانية تفسيرية، أما الوظيفة الجمالية فقد يؤدي فيها الوصف العملية التجميلية والتزيينية التي تضفي على العمل الأدبي الجمال الفني الاستطراذي الذي لا يفيد ربما في تطور العمل السردى في حين يجد القارئ المتعة في تصوير تلك المشاهد الجميلة التي قصد الرحالة الوقوف عندها بالوصف، ليضفي على النص مهابة وجمالا وإبداعا .

¹ - عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية منشورات الاختلاف، ط01، الجزائر 2009، ص 49

² - جيرار جينات عن هيثم الحاج علي، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردى، دار الانتشار العربي، بيروت، ط01 2008 ص

³ - فيصل غازي، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض سوداء لعبد الرحمان منيف، دار مجدلاوي، ط01، 2010، ص

أما الوظيفة التفسيرية فنقصد بها " أن تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكيم " ¹ وهذه الوظيفة تكاد تنعدم في رحلة الأغواطي، لأن صاحب الرحلة هدفه إيصال المعلومة الى من طلب منه كتابتها، ومنه فلا يجنح الكاتب الى الخيال أو الى الرمز والغموض، حيث يسعى الأغواطي الى التوضيح والتبسيط، بلغة واضحة وبسيطة، حتى يتسنى للمتلقي التعرف على المدن وسكانه وطبائعهم وطريقة عيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومخازنهم وجيوشهم وأسلحتهم وكل ماتعلق بكل مدينة زارها أو سمع عنها عبر الصحراء الجزائرية الكبرى .

أشكال الوصف :

01- وصف الأشخاص وعاداتهم وتقاليدهم : لوصف الشخصيات يتطلب تخصيص كل مصادر المعرفة حتى تتم عملية وصف الجزئيات والحركات والتقاليد والعادات، (مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا) وكل ماله علاقة بالشخص الموصوف، وحتى تصرفاته واهتماماته المختلفة المادية منها والمعنوية (المشاعر والأحاسيس والعلاقات والعواطف الانسانية) . والوصف يحدد الملامح لكل شخص وبه نستطيع التعرف والتمييز بين الأشخاص، وهذا ما نلمسه في رحلة ابن الحاج الاغواطي عندما يتدرج في الحديث عن أهل الصحراء في جميع الأماكن التي زارها أو شاهدها أو سمع عنها .

02- وصف الأماكن : لقد قدّر للأغواطي بطلب من القنصل الأمريكي أن يكون وصافا بدقة للأماكن التي يمر بها، ولذلك نجد يصف ويتحدث عن جزئيات كثيرة ودقيقة لكل مكان زاره، فتحدث عن بوسعادة، الجلفة، الاغواط بني ميزاب، ميتليلي، المنيعه، غرداية ورقلة تميمون، جبال عمور وغيرها من الأماكن التي زارها او التي لم يزرها، وربما قد سأل عنها وسمع من غيره عنها . والمكان يتسم بالثبات والاستقرار على خلاف الزمان الذي يتسم بالتحول والاندثار، حيث يسمح المكان باسترجاع الأحداث الماضية عبر الوصف، وساعتها يصبح المكان منارة يمكن للقارئ الإطالة على التاريخ، وقد عمل الاغواطي على ذلك في أكثر من موضع وموقع سنذكره في حينه .

¹ - جبرار جينات، حدود المحكي،، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، ع 08، 1988، ص 59.

03- وصف الزمن : لاتعتمد الرحلة على وصف المكان فقط ولكنها بين الفينة والأخرى يستحضر الرحالة شيئا من التاريخ، فقد يذكر مرحلة معينة ، يكون قد عاصرها، ونقلها بين دفات الرحلة، الأمر الذي يجعل القارئ يستحضر بدوره الزمن الذي كتبت فيه هذه الرحلة .

04- وصف الحيوان : الرحلة حتما تجعل من الرحالة يذكر معظم ماتقع عليه عينه مما يدور في الطبيعة، والحيوانات في الصحراء كثيرة تصادف الرحالة كالطير والجمل والفرس وغيرها، لذلك يجعل الرحالة لها موقعا في رحلته، وسنعرض ذلك بالتفصيل في متن هذه المذكرة .

05- وصف النبات والمزروعات : اهتم الأغواطي بوصف النباتات المزروعة منها والبرية، اشجارا كالنخيل والحلقة، وقد اهتم بوصفها وطرق غرسها وسقيها ونوعها ولونها متعرضا إلى الآبار المحيطة بها والأودية والأنهار إن وجدت لما لها من دور في حياة تلك المزروعات والنباتات .

وفي نهاية هذا المدخل يمكن أن نقول بأن تقنية الوصف اعتمدها ابن الدين في رحلته تلك كون هذه التقنية لايمكن الاستغناء عنها في أدب الرحلة بخاصة والكتابة النثرية بعامة، وقد عمدها الرحالة الأغواطي في رحلته وإن كان الوصف بسيطا ماديا ظاهريا، لايرتقي الى الوصف البلاغي الذي يتعمده البلاغيون، وربما للاغواطي في ذلك عذره أو سببه الذي جعل من وصفه كذلك .

الفصل الأول

الرحلة المسار والتطور

- الرحلة قديما وحديثا/بين الرحلة وأدب الرحلة /
- أنواع الرحلات (العلمية / الحجازية الحج / الاستكشافية الاستطلاعية)
- مقومات الرحلة وتقنيات السرد في المتن الرحلي
- الرحلة والاثنوجرافيا
- الرحلة والرحالة في الجزائر

المبحث الأول : الرحلة مسار في الزمان والمكان

01- بين الرحلة وأدب الرحلة

قبل الولوج الى معرفة المسار الذي قطعتة الرحلة في حركيتها من الزمن الغابر الى يوم الناس هذا، كان لابد من أن نعرض على بعض المفاهيم التي حظيت بها مادة "رحل" بشرح واف في كثير من المعاجم والقواميس، فقد ذكر ابن منظور في لسان العرب : " الترحيل والرحال بمعنى الاشخاص والازعاج، يقال رحل الرجل اذا سار، وأرحلته أنا، ورحل رحولاً، وقوم رحل، أي يرحلون كثيرا"¹، وإذا تعددت المفاهيم حول الرحلة فهي تصب في مفهوم واحد يدور جملة حول الترحال والارتحال، والحركة من مكان الى آخر، وهذا يعكس عمق العربية واتساع شواطئها .

وفي نفس المعنى دارت مفاهيم أخرى كالسير والانتقال والوجهة والمقصد والمكان المراد السير إليه، وكل هذه المعاني تنطبق على لفظ الرحلة، وإن كانت النظرية القصدية لا تعترف بالترادف ليكون لكل لفظ مما ذكر معناه الخاص به، ومنه تكون تلك المعاني غير مترادفة بالمعنى التطابقي، وإنما تقترب من بعضها، وفي النهاية تصب في معنى شامل وعام هو الرحلة، وخلاصة ذلك أن الرحلة هي (الحركة والانتقال اللذان يبعثان في الانسان الحيوية والنشاط، وتعود عليه بالمنافع الكثيرة في مختلف مجالات الحياة عكس السكون الذي يبعث على الجمود والخمول)² . وعليه تكون الرحلة مطلب انساني وضروري لمعرفة ما يحيط به من ثقافة ومعارفة وحضارة ينتفع بها أينما حل وارتحل .

أما من الناحية الاصطلاحية فلا يتعد مفهوم الرحلة كثيرا عن المعنى اللغوي، إذ يشتركان في اعتبارها حركة، وينضاف إلى ذلك أنها لون أدبي ذو طابع قصصي وصفي سردي، يفيد المؤرخ والباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، كما تتعالق الرحلة أو أدب الرحلة مع مفهوم السيرة الذاتية، كون أن المترجم لنفسه حتما سيتحدث عن الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة

¹- ابن منظور، لسان العرب تح عبد الله علي الكبير وآخرون مج 03 ج 18 دار المعاريف، القاهرة د / ط / د / س ص 1609

²- ينظر ناصر عبد الرزاق المواي، الرحلة في الادب العربي حتى نهاية ق 04، مكتبة الوفاء، القاهرة ط 01، 1995، ص 23

به . ومن خلاله تُكتشفُ المعالم والأقطار والعادات والتقاليد، فالرحلة حتماً ناقل لأحداث عصره محتك بما يحيط به من ظروف .

وبمخالطة الناس والأقوام في الرحلة، ومعرفة ثقافتهم وحيواتهم في زمان ومكان معينين محددين، تكون ثمة قيمة تعليمية تثقيفية للإنسان، والرحلة قديمة قدم الإنسان، وإن اختلفت دوافعها، وتباينت وسائل السفر فيها، وتنوعت مادة الرحلة، وهي تصور ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، سواء أكانت الرحلة فعلية أم من نسج الخيال، والسفر كما يقول فرانسيس بيكون : " تعليم للصغير وخبرة للكبير " ¹ وهو بلسان الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر سابقاً : " مرآة الأعاجيب وقسطاس التجارب " ² وهذا يدل في كلا القولين على أهمية السفر ودوره في حياة الناس .

والإشكال الذي يواجهه الباحث هو مصطلح "أدب الرحلة" في ذاته وكأن السؤال يطرح نفسه، لماذا أضيفت لفظة "أدب" "للرحلة" ؟ ولماذا أدب الرحلة وليس الرحلة ؟ وربما حتى هذه الإضافة لم تؤهل الرحلة للإندراج ضمن الأجناس الأدبية (باعتبار أن هذه الأجناس لا تحتاج الى إضافة - كما حددها الأدب والنقد - حتى تكتسب شرعيتها الأدبية، ولسنا في مجال البحث في هذه المشكلة بقدر مانحن بصدد الحديث عن الرحلة كما هي رغم تنازعها عدة حقول معرفية كالجغرافيا والتاريخ والأنثروبولوجيا) ³ بل حتى السيرة الذاتية والقصة والرواية، ولعل وجود لفظ "رحلة" و"أدب الرحلة" يميلنا الى أن ثمة فرق بينهما، فالرحلة " نشاط ونوع من الحركة ومخالطة الناس والأقوام، وتبرز قيمتها من كونها مصدراً لوصف الثقافات الانسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة " ⁴

¹ -حسين محمد فهميم، ادب الرحلات، عالم المعرفة 138، المجلس الوطني للثقافة الكويت 1978، ص 15

² -المرجع نفسه ص 15.

³ عبد العليم محمد اسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة / الموقع اسفله .. -- شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، نقلا عن

⁴ www.sd-zain.com المرجع نفسه الموقع

أما إذا أضفنا إليها مادة "أدب" فقد منحناها صفة خاصة بها، أخرجناها من النشاط والحركة الى مجال الأدب ومنه يكون "أدب الرحلة" هو تلك المادة الحكائية القائمة على السفر والانتقال، تجري في زمن مسجل بدقة، تحكي أحداثا وقعت في أمكنة متعددة وفي زمن مضى¹ فمن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الرحلة هنا بمعناها التقني والأدبي لاحتوائها على بعض الخصائص المميزة ليتم الانتقال من الرحلة الى الأدب .

وهناك من يقصد بالرحلة أدب الرحلة، لتمييز بينهما باعتبار أن الكتابة عن الرحلة هي جزء منها وإذا أضيفت لفظة أدب الى الرحلة، فهذا يدل على أن ثمة سمات أدبية تميّزت بها من حيث قوة الأسلوب ودقة اللغة، والسرد والوصف والأخبار. أما بعد رسوخ نظرية الأجناس الأدبية وبرز السرديات والشعرية بدأت المفاهيم حول الرحلة تتحدد بقوة ودقة متناهية حيث عرفها محمد الحاتمي بأنها " خطاب تنشئه ذات مركزية، هي ذات الرحالة، يحكي فيه أحداث سفر وتصف الأماكن المزورة، والأشخاص الذين لقيتهم، وما جرى معهم من حديث، وغايتها من هذا الحكوي إفادة القارئ وإمتاعه"² وعليه فإن أدب الرحلة شكل أدبي له خصوصياته التي تجعل منه جنسا أدبيا قائما بذاته وإن اشترك مع بعض الأجناس الأخرى في بعض الخصائص كالرواية والسيرة وأدب المذكرات والاعترافات له لغته الخاصة وأسلوبه وصيغ خطاباته، وقوام ذلك كله الوصف والسرد .

وخلاصة القول فإن أدب الرحلة " نص سردي قابل للإدراك والتحليل والمساءلة من خلال السرديات بوصفها نظريات تفي بدراسة النصوص ذات الطابع الحكائي"³ ومنه فإن هذا النوع من الأدب تتحقق أدبيته بتوافر عناصر أساسية منها السرد والوصف والحوار والتخييل بالإضافة إلى العجائبية أو الغرائبية .

¹ -اسماعيل ديوجي، تقنيات السرد، مجلة العلوم الانسانية، العدد 08 جامعة محمد خيضر بسكرة 2005 ص 03

² -محمد الحاتمي، الرحلات المغربية العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط المغرب 2012، ص 30

³ - عبد العليم محمد اسماعيل علي، تقنيات السرد م السابق

02- الرحلة بين القديم والحديث :

لقد شكلت الرحلة الانفتاح على الآخر من خلال تجربة الإنسان الرحالة ومشاهدته المباشرة، فدون تلك الرحلة كل ما وقعت عليه العين وأدركه العقل، فكانت عقداً نفيساً في جيد التاريخ وكنزاً ثميناً تحتفي به المكتبات، ومرجعاً لكل معلومة تاريخية لذلك " زاد الوعي بالرحلة نصاً وخطاباً ... وقد تراوح الوعي بالرحلة عند الرحالة الذين نقلوا تجاربهم الرحلية بشكل فردي أو جماعي، برغبة أو بدونها، في مهمة للغير أو لحسابهم الخاص، ضمن مؤلفات مستقلة بين الوضوح والالتباس في المعرفة بالشكل والقالب الذي يسجل فيه رحلته "¹ وتبعاً لهذا الوعي كان الاهتمام بالرحلة عند العرب من قديم الزمان، حيث " انطلقت الرحلات شرقاً وغرباً منذ القرن الثالث الهجري حتى الثامن الهجري، بلا توقف تقريباً حتى تمكن الرحالة تدوين كل ما رآه في كل أنحاء العالم المعمور آنذاك "² يؤكد لنا هذا النص أن بداية الرحلة وتدوين الرحلات إنما انطلقت في القرن الثالث الهجري كفن قائم بذاته، له موضوعاته وأسلوبه ولغته الخاصة به، ومن ثم تم الاطلاع على جغرافية وتاريخ الأمم المجاورة بخاصة والأمم الأخرى بعامية .

لقد كان العرب رواداً عظاماً في هذا المجال لاهتمامهم الكبير بما يجري في زمانهم حيث جابت رحلاتهم الشرق والغرب والهند والصين والاندلس وغيرها من البلدان، وهاهو ذا يعقوبي أبي العباس أحمد بن يعقوب (يترك لنا كتاباً ضخماً قد سجل فيه رحلاته بدقة وأمانة علمية غير متناهية ووسمه ب (كتاب البلدان) ³ كما نجد كتباً أخرى في نفس الغرض ككتاب " المسالك والممالك " لأبي عبيد البكري، وكتاب " الخراج " لقدامة بن جعفر، وهكذا بدأ التدرج والنضج في هذا الفن، حيث أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أعتبر من أزهى الفترات، فالقرن العاشر الميلادي هو "فترة النضج التام فقد زخر بمصنفات مهمة بلغت أوج التطور " ⁴ وفي هذا القرن كثرت الكتابة في هذا الفن وبرز

¹ -شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، م سابق ص 46

² -محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية، دار الكتب الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2007، ص 17

³ -ينظر محمد بن سعود، الموسوعة م سابق ص 17

⁴ - حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب م سابق ص 12

رحالة كبار أمثال المسعودي في " مروج الذهب و معادن الجواهر " يقول في هذا المقام : " فإننا صنفتنا كتابنا في أخبار الزمان، و قدمننا القول فيه في هيئة الأرض، ومدنّها و عجائبها، و بحارها و أغوارها و جبالها و أنهارها، و بدائع معادنها، و أصناف مناهلها و جزائر البحار و البحيرات الصغار و أخبار الأبنية المعظمة و مساكن المشرفة و ذكر شأن المبدأ و أصل النسل " ¹ و كتابة المذكور جمع فيه رحلاته مسجلا ما شاهدته و ما عينه دون التدقيق في الزمان و المكان كما اعتبرت رحلة ابن فضلان خطوة طيبة نحو الاستقلال الذاتي لأدب الرحلة العربي عن الجغرافيا ، فقد كانت ثورة على الخلط بينهما ² و ذلك لحسن سبكها و سلامة أسلوبها و دقة وصفها و جدة التعبير فيها .

كما أن هناك كاتب آخر لا يقل أهمية عن سابقه و هو كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم للمقدسي الذي ذكر فيه الأقاليم الإسلامية، و ما فيها من بحار و محيطات، و أنهار و طرق.

وفي القرن الخامس الهجري يبرز البيروني العلامة المعروف الذي جاب الهند و السند و كتب رحلته " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مردولة، جمع فيه الحضارة الهندية و شيء من الجغرافيا، الملاحظ في هذا العصر أن الرحالة لم يصبح يعتني باقتناء المعلومة بل راح يجمل أسلوبه فيها ليعطيها طابعا سرديا و أسلوبا راقيا في الكتابة . أما في قرن السادس الهجري فبدأت الرحلة تتجه اتجاهها آخر، له علاقة وطيدة بالسياسة الذاتية إذ نجد الرحالة و العالم الإسلامي الكبير المتصوف " ابن عربي " " صاحب " الرحلة و إن عدت مفقودة حيث جاب الأندلس و منها إلى المشرق (بلاد الشام) و العراق و حجاز و مصر ثم عودته إلى الأندلس ³ .

و نجد في هذا العصر كذلك كتابا للإدريسي يحمل عنوان " نزهة المشتاق في اختراق

الآفاق " الذي جمع فيه رحلاته في المغرب و الأندلس فوصف جغرافيتها بمادة غزيرة . و للرحلة

¹ - المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجواهر ج 1، الملكية العصرية

بيروت، لبنان ط 1 2005، ص 03

² - ناصر عبد الرزاق المواقي ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4 هـ، ص 2004

³ - ينظر، نبيل راغب، أدب الرحلات م . س، ص 75

بواعث كثير سنذكرها في حينها، حيث لكل رحالة دافع وهدف، وربما وإن اختلفت النواحي فثمة عنصر يشترك فيه الجمع، ألا وهو وصف ما تقع عليه العين، وهما ابن جبير في رحلة " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" وهي رحلة إلى الحج إلا أنه دون تفاصيل تلك الرحلة (ساردا ما شاهده من عجائب البلدان، بساتين و أسواق، مساجد و عادات و تقاليد . و حياة سياسية و اجتماعية و اقتصادية....)¹

وما انقضى هذا القرن حتى وجدنا رحالة من نوع خاص في القرن 7 هـ / شخصية لها إثرها و بصمتها في كتابة تاريخ البلدان من خلال مدونته "معجم بلدان" لياقوت الحموي و هو فعلا معجم بكل ما تحمل الكلمة من معاني، حيث ذكر (أماكن و بقاع مع ضبط الأسماء للعلماء و الصالحين و ما قيل فيها من شعر ليرسم لنا صورة متكاملة عن تلك البلدان)² وفي نهاية هذا القرن نصل إلى رحلة العبدري التي سميت باسمه " الرحلة العبدرية " وقد جمع فيها ما شاهده في بلدان المغرب العربي .

ولقد بلغت الرحلة ذروتها مع ابن بطوطة -في مستواها لأدبي- الرحالة العالمي ، فكانت رحلته "تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار" قمة الأدب الرحلي، فلقد قدم ابن بطوطة في هذه الرحلة وثيقة هامة و عن حياة الأمة الإسلامية و أحوالها خلال هذا القرن)³ متحدثا عن البلدان و الشعوب و مظاهر البلدان و ألوان الحضارة وكأنه يعطينا معجما آخر مدون فيه كل ما يحتاجه الإنسان من معرفة عن ذلك العصر .

أما في القرن التاسع و العاشر الهجريين فقد كانت الرحلات بسبب الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية تضيق رقعتها وازدادت تقلصا في القرن الحادي و الثاني عشر الهجري للأسباب نفسها . ومع بداية القرن الثالث عشر الهجري بدأت تسترجع قوتها رويدا رويدا مع رفاة الطهطاوي و خير الدين التونسي و عبد القادر لمازني و شهاب الدين الألوسي و سليمان البستاني .

¹ - ينظر ابن جبير الرحلة . بعد ع سليم بابا عمر / موقيم للنشر الجزائر / د ط 1988 ص 5

² - بنظر أبو الفتوح محمد التواتي ، ياقوت الحموي الجغرافي، الرحلة الأدبي الهيئة المصرية ط 2 / 1970 / 173

³ - ينظر / ابن بطوطة محمد ابن عبد الله / الرحلة / ج 1 درا الإحياء العلوم بيروت . ط 1 / 1987 ص 09

المبحث الثاني : أنواع الرحلات ودوافعها

أ- أنواع الرحلات

تعددت الرحلة بتعدد أغراضها وأهدافها، والمشتغل بالمتن الرحلي يكتشف بأن ثمة كنز يفتح آفاقا جديدة في البحث، من أجل الإنكباب على دراسة متون رحلية مختلفة في أزمنتها وأمكنتها وحمولاتها الثقافية، ورغم اختلاف هذه الرحلات فإن هناك مجموعة من الصفات تجمع تلك المتون الرحلية السفارية، ضمن ثلاثة اتجاهات شرقا وغربا أو شمالا نحو أوروبا . حيث في كلها إكتشاف وتسجيل، أو صدام في بعض الاحوال والأحيان كتلك التي اتجهت الى اوروبا حيث حضارتين وثقافتين مختلفتين تنظران الى الدنيا والآخرة بنظرتين مختلفتين (الأنا المسلم) و(الآخر النصراني)، وتأسيسا على هذا الصدام أفرزت تلك المتون موضوعات متنوعة تكون رئيسة أحيانا وثانوية أحيين أخرى، تكررت في أكثر من رحلة، فصورة الآخر حاضرة بقوة، والتمسك بالذات الوطنية والقومية والدينية حاضر هو الآخر . والانبهار بالعمران والصناعة لا يكاد يختفي من أية رحلة اتجاه أوروبا، وقد جاء هذا بخلاف الموضوعات التي برزت في الرحلة الحجازية مثلا، التي قصد أصحابها لبيت الله الحرام، دون مجابهة ذلك الآخر في طريق سفرها، ولا عمرانها ولاصناعتها، فاكتفت بوصف الأمكنة والشعائر والحديث عن لقاء العلماء ومحاوراتهم ومناظراتهم، وزيارة قبور الأولياء والصالحين في طريق الرحلة غدوة ورواحا .

01- الرحلة العلمية

ونقصد بها تلك الرحلات التي يقوم بها الرحالة العلماء الذين يكتشفون من خلال أسفارهم استكشافات علمية كأن تكون في البر أو في البحر، وقد بدأت وتزايدت في أوروبا بعد فترة عصر الاستكشاف العلمي، ومما زاد في تطورها وانتشارها الاختراعات العلمية والتقنيات الحديثة بالإضافة الى ظهور الفلسفات الجديدة والتيارات الفكرية والعلمية، وتهدف فيما تهدف هذه الرحلات ذات الطابع العلمي الى البحث عن الجديد من اكتشاف أرض جديدة فترسم لها خرائط جديدة لمختلف

الجهات، وكذا استكشاف الحيوانات والنبات والشعوب، والقيام بأرصاد فلكية وجوية بالإضافة إلى الأهداف الاستعمارية الخفية لاستكمال الهيمنة على الآخر.

هذه الرحلات سمحت بمعرفة الطرق التجارية الجديدة ورسم الخرائط، وتطوير بعض العلوم والتخصصات (كعلم الأحياء وعلم النبات وعلم المياه والطب والجغرافيا والاسماك وغيرها)¹. وربما سمحت كذلك وفي كثير من الأحيان بتطوير العلاقات الدبلوماسية مع الدول التي تقع خارج المحيط (الأوروبي)

02- الرحلة الحجازية :

ونقصد بها السفر إلى الديار المقدسة، بيت الله الحرام قصد تلبية لنداء شعيرة الحج بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾² ليشهدوا منافع لهم من خلال هذه الرحلة التي تعتبر تلبية لنداء إله السماء .

وتتميز الرحلة الحجازية كغيرها من أنواع الرحلات الأدبية "بطابع سردي حوارى توظف فيه أنماط متعددة من الخطابات الأدبية والمعرفية. وتحضر هذه الأشكال بنوع من التفاوت في النص الرحلي، وتسهم إسهاما فعالا في بناء دلالاته وأبعاده الفنية"³. ويستحضر الرحالة جملة من القضايا في سفره كأن يتحدث عن مجريات تاريخية ترتبط بتاريخه الذي يعيشه، وهو مار بالبلاد العربية، حيث أخذ انطباعات وتصورات أثناء الرحلة، فيصبح شاهد عيان عن تلك الأحداث فيرويها في رحلته، التي سيستفيد منها المؤرخ وهو يستقي المعلومة والخبر . وأحيانا يسرد الرحالة المشاق والصعاب التي واجهته طيلة تلك الرحلة، من مضايقات وسوء تغذية وغيرها من المعاناة التي تجابه الحجاج، وفي المقابل عند رجوعه يذكر الحفاوة والإكرام الذي يحظى به من قبل أهله وأهل بلده . .

-ينظر ويكيبيديا الرحلة لعلمية الموقع

¹ <http://ar.wikipedia.org>

² الحج الآية 27 -

³ <https://www.mominoun.com/articles/> يظر : محمد المسعودي الرحلة الحجازية، الموقع

وفي موضوع آخر لاتكاد تخلو المتون الرحلية من إشارات جغرافية متعلقة ببلاد الانطلاق والعبور والوصول، كون أن الرحلة حركة في الزمان والمكان، فإلى جانب وصف البقاع المقدسة يصف بلادا أخرى مرت بها الرحلة، فيصف كل ما وقعت عليه عينه واستطاع استذكاره من طرق وهضاب وجبال ومدن وشواطئ وكتبان رملية ومنحدرات وكل ماله علاقة بجغرافية المكان، وفي موضوعه الأساسي الرحلة الحجازية ومناسك الحج، وشعائر أداء الفريضة، فإلى جانب ذلك كله قد يتعرض الى جملة من الاحاديث إذ يسرد الرحالة شيئا من سنة المصطفى العطرة، صلى الله عليه وعلى آله . ناقلا أقواله وأحاديثه. و هذه اللمحات ذات أهمية من حيث أنها موجهة الى المتلقي بغض النظر عن كونه مسلما أو غير مسلم، (فيطلع على سنة الحبيب المصطفى، من خلال الخطب التي يسردها الرحالة والطريقة المتبعة في تقديم المعلومة عن مناسك الحج والوقوف بعرفة في ذلك المشهد العظيم الرائع،بالإضافة الى السماح التي يجدها الحاج في هذا الموسم العظيم، إذن فالنص الرحلي الحجازي يستند كلية - فضلا عما ذكر - الى وقائع ومرويات من سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم - العطرة ليؤصل بعض الممارسات والمناسك والسلوكات في الحج)¹.

وفي جانب آخر فإن الرحالة قد يطرح بعض القضايا الفكرية الدينية التي تثار في الاسلام ومقوماته كالرد على بعض الشبهات التي يثيرها الآخر، ويسعى الرحالة الى دحضها ومن ذلك تكمن أهمية هذا النوع من الخطاب في تشكيل مقومات الكتابة في المتون الرحلية الحديثة .

وفي رحلة الحج يقف الرحالة على تفاصيل مهمة ترتبط به وبمن كان معه مصاحبا في هذه الرحلة، فيجعل من هذه الرحلة سردا لسيرة ذاتية وجماعية في الآن ذاته، لأن الحج أصلا منسك جماعي وركن مهم في التواصل والتلاقي ومد جسور الأخوة والمحبة بين الناس.

وهذا النوع من الرحلات في الجزائر بخاصة والمغرب بعامة كثير، لأن الحج منسك وشعيرة روحانية لها أهميتها الكبرى لذلك نجد كل مسلم تواق الى فعل هذه الشعيرة، ومن بين هذه الرحلات التي

¹ ينظر : محمد المسعودي ، بناء الرحلة الحجازية، الحج الى بيت الله الحرام، م سابق الموقع

سجلها أصحابها نذكر الشيخ أبي راس الناصري المعسكري في كتابه " فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حيث كتبها وهو في الثمانين من عمره، أي سنة 1817، خمس سنوات قبل وفاته. وهذه الرحلة اعتبرت سيرة ذاتية لأن معظم المادة تصب في ذلك، إلا أنه قد خصص في كتابه قسما يتحدث فيه عن هذه الرحلة الحجازية، المعنون بـ " رحلتي الى المشرق والمغرب وغيرها ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام " ¹. وهذا يبين الامور التي شغلته في هذه الرحلة من لقاء علماء ومحاورتهم ومناظرتهم، وفيه اي الرحلة قد ذكر المدن وما جرى له فيها منطلقا من الجزائر ومورا بتونس والقاهرة ومكة ووصولا الى فلسطين، وقد ركز في هذه الرحلة على شغفه بالعلم والعلماء وسعادته بلقائهم. وتميزت كتابة هذه الرحلة بالاسلوب التقريري في الوصف والسرد، والعلمي الدقيق في ذكر الأماكن والأسماء والمناسبات، وبين الفينة والأخرى ينحى منحى الأدباء فيكتب بأسلوبهم الرشيق فيأتي بحكمة ونكتة ولطيفة .

03- الرحلة الاستكشافية :

الرحلات الاستكشافية دوافعها كثيرة و متعددة قد تكون لمجرد معرفة الفضاءات الأخرى التي كانت غائبة عن الرحالة كالبحت في البحار و المحيطات و الصحارى و الجبال لمجرد المعرفة الفضولية التي تنتقل فيما بعد إلى علم يدون تلك المكتشفات بطريقة موضوعية و هذا لا يخشى من استكشافاته. و هو هناك صنف آخر قد يكون هو رحالة أو يدفع مقابلا لمن يقوم بهذه الرحلات الاستكشافية، الأمر الذي حدث مع رحالتنا الحاج بين الدين الأغواطي في رحلته إلى الصحراء الجزائرية، والهدف من هكذا رحلات من قبل الغرب بصفة عامة هو هدف استعماري أكثر منه استكشافي، وعليه يكون الدافع أما خاصا متعلقا بالمستكشفين أنفسهم كالمغامرة وارتياح المجهول والبحث عن الثراء أحيانا، ومنها ما هو عام قد ارتبط بالتطورات الحضارية و التكنولوجية وما رافقها من تطورات في وسائل النقل والمواصلات و ظهور جمعيات الجغرافية و تنامي الاستعمار.

¹ -أبوراس الناصري، فتح الإله ومنتته . ص20.

وهكذا ظلت الرحلات تمثل نمطا من التفاعل والحركة، ومخالطة ومعايشة أقوام آخرين بغية الوصف الدقيق و الموضوعي، وليس من رأى كمن سمع ، وفي هذا المعنى القول البيروني " إنما صدق القائل "ليس الخير كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان و جوده و في مكان حصوله " ¹ فالاتصال المباشر يمنح الرحلة قيمتها و أهميتها، و لا تقتصر قيمة الرحلة في الاكتشاف الجغرافي و التاريخي فقط و لكن لها ارتباط آخر يمنحها تلك القيمة ألا و هو الارتباط بالأبعاد الاجتماعية و الفلسفية و السياسية و التربوية و عبر هذه الرحلة (الاستكشافية) اكتشف الإنسان نفسه وموطنه كوكبه و كل ما يحيط به .

لقد اختلفت دواعي و أهداف الرحلات باختلاف أصحابها و الجهات التي تقف وراءهم (فهناك من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول و اكتشاف الغريب عن المألوف، و منهم من كان بحركه البحث عن مصادر الثروة و المال و تحصيل المكاسب و الحصول على بعض الجوائز) ² و منهم من كانت دوافعه دينية تبشيره بالإضافة إلى الفضول المعرفي و خدمة العلوم و الجغرافيا، و منهم من كانت تغريه نزعة سياسية استعمارية " فيسعي إلى ارتياد مناطق جديدة خدمة لتجارة بلده أو سعيا إلي جمع المعلومات المختلفة عن المناطق المزورة تمهيدا للسيطرة عليها وإخضاعها " ³ لأنه تجب معرفة الناس للسيطرة عليهم و قيادتهم، ولذلك فقد " تركزت معظم مجهودات [الأوروبيين] في القرن الماضي [التاسع عشر] على القارة الإفريقية انطلاقا من محاور اهتمامات مختلفة كإتباع الفضول العلمي و التبشير الديني و مكافحة العبودية و الغزو و الاستعمار " ⁴ . و من الرحلة في هذا المجال من كان محترفا أو رحالة بالصدفة. و كثيرا ما تكون الاكتشافات " المأمورية " مخصصة لخدمة أغراض تجارية أو سياسية . و تنطبق هذه الأهداف في الصحراء الأفريقية على المستكشفين الفرنسيين، كما

¹ - أيد الريكان بن أحمد البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مر ذولة ، ط مجلس دائرة و المعارف العثمانية جيدر آباد 1958، ص 01 .

² - ينظر محمد و بن محمدن /الرحلات الاستكشافية / فمجلة العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة / عدد 20 /ديسمبر 2003 ص 158 .

³ - محمد و بن محمدن / م نفسه ص 158

⁴ - محمد بن محمدن /م نفسه ص 158

تنطبق على الرحلة التي نحن بصدد دراستها رحلة الأغواطي تلك الرحلة التي نضيفها في خانة " المأمورية" . وهناك دوافع متصلة بالتطورات في أوروبا نتيجة للثورة الصناعية و إن كانت تصب معظمها في تطور وسائل النقل و المواصلات و استعجال حركة التوسع الاستعماري.

إن هدف الاستعماري من الرحلة الاستكشافية لينبني على جمع المعلومات المختلفة عن المنطقة لتسهيل السيطرة عليها فهي تدرس السكان لمعرفة مكوناته و نقاط ضعفه بحثا عن أي منفذ يتم الدخول من خلاله، لتفكيك المجتمع و أبعاد أية مقاومة¹ وفي هذا المسار عملت فرنسا في الجزائر على وتيرة الصراعات العرقية مقسمين المجتمع إلى فئتين عرب و بربر، واحدة مناهضة للاستعمار و الثانية متعاونة معه " و معلوم أن فرنسا قد تبنت منذ احتلالها للجزائر سياسته مبنية على اختلاف صراع عرقي بين البربر و العرب، وهي السياسة التي تعرض الجابري لها بالتحليل في بحث رصين² تناول أبعادها و نتائجها في المغرب الأقصى من خلال ما يعرف ب " الظهيرة البربري" .

أما في الجزائر فيمثل هذا النوع رحلة " الحاج ابن الدين الأغواطي " بعنوان " رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية " . (كُتبت الرحلة بالعربية في حدود (1826 . 1829) بناءً على طلب " وليام هيدسون " مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر في الفترة (1825 . 1829)، مقابل مبلغ مالي. فأججز " الأغواطي" عمله هذا وقبض الثمن من " هوديسون " ذي النزعة الاشتراكية الحريص على جمع معلومات جغرافية وتاريخية ولغوية، خصوصاً عن البربرية. ترجم هذه الرحلة إلى الإنجليزية، وقد بقي النص العربي مجهولاً، وهو ما حقّز الدكتور " أبو القاسم سعد الله " على إعادة النص إلى العربية في نحو تسع عشرة صفحة).³

جمعت الرحلة في مسارها بين الداخل والخارج، وقد حاول أن يعين مسالك، ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن. ويجلّي طبيعة هذه الجغرافيا، وهندسة بناء، ونظام حكم وتقاليد

¹ - محمد بن محمد / لنفسه ص 159

² - محمد عابد الجابري / يقظة الوعي العروبي في المغرب مؤسسة الطباعة و النشر، الدار البيضاء المغرب ط 1 / 1988 ص 75-110

- ينظر أبو القاسم سعد الله مجموع الرحلات، رحلة الأغواطي المقدمة ص 03³

اجتماعية وغيرها، فعمكست بذلك الرحلة كثيراً من الأوضاع المختلفة، التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. إنها رحلة برؤية استطلاعية غلب عليها الجانب الجغرافي التاريخي عن مواقع مدن، وأحوال ناس، لغة وعادات وتقاليد، وأزياء وسواها.

ب-دوافع الرحلة

باتساع الرقعة الجغرافية للمسلمين وامتداد الدولة الاسلامية من الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، كانت مهمة الرحالة في رحيلهم وترحالهم تسهل يوما بعد يوم، إلا أن الاسباب والدوافع تختلف من رحالة الى آخر غلا أنه يمكن حصرها فيما يلي :

01-دوافع علمية وتعليمية : حيث كان كان طلب العلم من أهم البواعث في الرحلة، فالعلم والحكمة مطلبان هامان مهمان أينما وجدها الإنسان بعامة والمسلم بخاصة فهو أحق بهما ، فالعلم من أكبر العوامل المسهمة في تطوير الامة وتنقيفها وهو مطلب شرعي مفروض من قبل الشارع الحكيم والسنة المشرفة، فطلب العلم فريضة، **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**¹ ويروي التاريخ عدة رحلات كانت تبعا لهذا الغرض وطبقا لهذا الباعث .

02-دوافع دينية : وتمثلت في السفريات والرحلات التي كانت تقام الى حج بيت الله الحرام تأدية لمناسك الحج والعمرة، حيث كان يجني الرحالة فضلا عن أداء فريضته فوائد دينية كثيرة كتطهير النفس والتوبة والمزارات وطلب المغفرة والدعاء للخلان والالتقاء بالعلماء والصلحاء من بني الأمة الإسلامية فضلا عن تعلم فقه المناسك وتبادل الآراء والأفكار، فالرحالة قد يكون عالما او مفكرا وبالتالي فيجد ضالته في كثير من محطات هذه الرحلة وبخاصة وهو قاصد أطهر مكان هو مكة المكرمة ومدينة المصطفى عليه ألف صلاة وسلام .

03-دوافع تجارية أو اقتصادية : طلب الرزق بواسطة التجارة عمل قديم يتطلب القيام به بواسطة الرحلة والارتحال والسفر والبحث عنه في كل مكان ولقد كان في جاهلية العرب رحلتان، رحلة

¹-الزمر الاية 09

الصيف ورحلة الشتاء، بحثا عن الرزق ومن أجل تبادل السلع، واستمرت الرحلة واتسعت باتساع رقعة الدولة ومازالت مستمرة الى يومنا هذا بل شاهدت اليوم هذه الرحلة تطورا كبيرا بفضل العلم والتقنيات الحديثة والتكنولوجيا .

04-دوافع سياسية : ونقصد بها تلك التي تكون متعلقة بالأوضاع السياسية عن طريق ارسال الوفود والسفارات والقناصل وتتم بين الدول والملوك والرؤساء، لأهداف متعددة كأن تكون توطيدا لعلاقة أو تمهيدا لاستعمار، أو (تهدئة لأوضاع أو تبادل لتجارة، أو اتفاقا على سلم أو حرب أو إنشاء تحالفات تمهيدا لغزو أو فتح، وقد تكون لمهمات سياسية تمه رجال كبار القوم من علماء وأدباء لمعرفة التطورات والأحوال الدولية في عهد من العهود)¹.

05- الدوافع الصحية : ومنها السفر للعلاج او الاستشفاء والبحث عن إراحة النفس مما كانت تعانيه من ألوان العناء والهموم، فالسفر في مثل هذه الأحوال مهم جدا، يتخلص الانسان من الكدر والاكتئاب، وفي هذه الحال يقول الشافعي :²

ما في المقام لذي عقلٍ وذي أدب	مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَرِبْ
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه	وَأَنْصِبْ فَإِنَّ لَدَيْكَ الْعَيْشَ فِي النَّصَبِ
إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدهُ	إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
والأسدُ لولا فراقُ الأرضِ ما افترست	وَالسَّهْمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصب

ومهما كان الباعث أو السبب لهذه الرحلة، فهي قبل وبعد تكون سلوكا إنسانيا وحضاريا ومطلبا مشروعاً تتأتى ثماره في الزمان والمكان، فليس الإنسان قبل الرحلة هو نفسه بعدها ونفس الأمر بالنسبة للجماعة، ويكفي التقارب الإنساني هدفا ساميا يتحقق بواسطتها، وعلى العموم يمكن تلخيص أهداف تلك الرحلة تبعا لتلك الدوافع المذكورة سلفا كما يلي :

¹- ينظر عبد الهادي التازي، ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار العربية للنشر، الكويت، ط1، 2002، ص95.

²- الشافعي الديوان تح، خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 2015 ص 85.

- إفادة المتلقي بمعلومات عن المعارف والعلوم والأعلام التي ترد في الرحلة .
- التعريف بالبلدان والمدن والطرق والمسالك البرية والبحرية .
- نقل أخبار الأمم والأقوام والجماعات البشرية في ماضيها وحاضرها .
- التأريخ لأهم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
- الترغيب في الرحلة من خلال عنصر التشويق والوصف للأماكن والبلدان والعادات والتقاليد للامم الأخرى .

المبحث الثالث : مقومات السرد وتقنياته في الأدب الرحلي

01 / المقومات والخصائص في أدب الرحلة :

دراسة الخطاب الرحلي إنما تنطلق وفق منهجية السرد و إجراءاته حيث يتم إسقاط مفاهيم السرد على السرد الرحلي، وإن كان الخطاب الرحلي تكتنفه بعض الالتباسات المكونة لخطابة والتي نجملها فيما يلي :

- 1 - بنية السرد في المتن الرحلي لا تجتمع فيه كل أجزاء الخطاب في وحدة حكاية واحدة.
- 2 - إن الوصف في أدب الرحلة يجعل السرد غير قائم على الحكمة الفنية .
- 3 - ثمة نوع من التعارض بين الرحلة باعتبارها سرد حقيقي وبين السرد الآخر المشكل من الخيال¹
- 4 - الخطاب الرحلي أقرب من حيث السرد إلي السير و التاريخ منه إلى أنواع السرد الأخرى
- 5 - السرد و الوصف مرتبطان ارتباطا وثيقا في الخطاب الرحلي على خلاف الخطابات السردية الأخرى.
- 6 - لا يشترط في السرد الرحلي معيار السردية الحقيقية والتخييل إذ " السرد عرض لحدث أو لمتواليه من الأحداث حقيقة أو خيالة، عرض بواسطة اللغة، و بصفة خاصة اللغة المكتوبة"²

¹ - ينظر لطيف الزيتوني " السيميولوجيا و الأدب ، مجلة الفكر م ج 24 / ع 3 ، كويت 1996 ص 252

² - جيران جينات حدود السرد مجلة أفاق ص 55

7- لا يخلو الخطاب الرحلي من نظام خاص من القواعد تنظم من خلاله قصة المسار و الرحلة حيث يكون النظام السردى مرادفا للمبنى ومن ثم يتم التلاقي بين المعنى الحقيقي و الكيفية التي قيل بها المعنى بمراعاة مستوى السطح و مستوى العمق .¹

8 - يمثل الاستطراد أحيانا في أدب الرحلة صفة لاصقة به حيث يتنوع الخطاب و تتعد صيغ التعبير فيه "وعدم الالتزام مبدأ اقتصاد الكلام"² و بذلك يتميز أسلوب السرد الرحلي عن أساليب السرد الأخرى .

9- كل متن رحلي يعتمد نظاما معينا يمكن اعتبار منحى توثيقي لأحداث واقعية و نقل لمشاهدات من قبل شخصيات حقيقية وهذا المنحى يشكل طريقة الكتابة في أدب الرحلة، إذ تتخذ أشكالا معنية في التأليف انطلاقا من المقدمة و مرور بالفصول ووصولا إلى الخاتمة وهذا التبويب يمثل محطات سردية لحكاية السفر كالتأهب للسفر، و طريق الذهاب والإياب و أخير الوصول .

وفي هذه المحطات تكون التفاصيل الإخبارية بتوظيف كل ماله علاقة بهذا السفر من استعداد، وإعلان، ومكان وزمان ووسائل ووجهة وطريق ومشاهد ومغامرات وعجائبية و عودة و مغادرة، وغيرها من الاستطرادات التي تستوقف الرحالة في حركتيه الرحلية .

02- تقنيات السرد في أدب الرحلة

إن الفارق بين السرد الأدبي وغيره من السرديات الأخرى يكمن في طبيعة تقنيات السرد ، و لذلك فإن المتن الرحلي يملك من المقومات السردية ما يبعده عن المتون السردية الأخرى كالتاريخ و الجغرافيا و الأنثروبولوجيا، و بتلك المقومات تقترب من السرد الأدبي، وهذه التقنيات تؤدي دورها المهم في أدبيه الرحلة، وعليه نحاول عرض بعض تلك المقومات .

¹- ينظر حتم الصكر، ترويض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص110

² - لطيف زيتوني م .س 256

01-02 الراوي في الرحلة :

يمثل الراوي بعدا مهما في العملية السردية بعامة و في أدب الرحلة بخاصة (و السارد الراوي هو الأداة التي تنظم الخطاب، و هو الشخص الحقيقي و الواقعي الذي يروي الحكاية بضمير "الأنا" أو "نحن" على العكس من السرد الأخرى¹) التي قد يكون فيها الراوي شخصية من نسج خيال الكاتب، ورغم وجود ذلك الاختلاف بين السردين إن صح التعبير فتمه شيء من التشابه في صيرورة و تتابع الأحداث، فإن كانت الحكبة الفنية في الرواية و القصة ، فإن التتابعية في الأدب الرحلي تعوض ذلك، وراوي الرحلة هو من يمسك بخيوط السرد، التي تجمع شتات الأمكنة و الأزمنة و الأحداث وصولا إلى سردية متناسقة الأبعاد، و لكي تجنس الرحلة ضمن الأدب الرحلي لابد من احتوائها على مقومات السرد من وصف و حوار و تبير و تنويع في السرد .

02-02 الوصف :

يعتبر الوصف من أهم مقومات عملية السرد و تمة علاقة وطيدة بين السرد و الوصف وهي "علاقة حركة و توقف، فالسرد يمثل التتابع و الفعل و التقدم و يأتي الوصف و معه الحوار -الإبطاء حركة السرد"² و أسلوب الوصف في الرحلة يطغى على غيره من الأساليب فهو مقوم أساسي . إن الخطاب الرحلي وصف لمشاهد متعددة وأماكن متنوعة وأشياء و أناس و غيرها، و يتفاوت الوصف من رحالة غلى آخر فمنهم من يفلح و يقترب من الأدبية و الشعرية في الوصف، ومنهم من يعدم ذلك ففريقترت متنه الرحلي من التقرير و شتان بين وصف هو غاية في حد ذاته و وصف اعتبره الرحالة وسيلة لإيصال الفكرة .

03.02 -الحوار :

و هو مقوم من مقومات و تقنيات السرد فهو كما أشرنا يسهم في إيقاف حركة السرد و إبطائها، و يشترك الأدب الرحلي مع الرواية والمسرحية في هذه التقنية باعتبار أن الرحالة " يخترق

¹ - ينظر عبد العليم إسماعيل/تقنيات لسرد م ص 18

² - نفسه م س ص 20 عن سمير قاسم نباء الرواية الكتاب القاهر 2004/ ص 177

الفضاءات و الأمكنة و الاجتماع¹ وتتفاوت الخطابات الرحلية في القدرة على تأطير الحوار في حركة الفعل السردي فمن حوار بسيط سطحي إلى حوار حركي حي معبر و منسجم ضمن حركة السرد .

04.02- التخيل :

رغم أن الخطاب الرحلي بجميع أشكاله و مقوماته موضوعي واقعي وحققيقي، إلا أننا لا نعدم التخيل فيه ليرتقي بالخطاب من البساطة إلى الأدبية و الشعرية (حيث أن الشكل التعبيري هو الذي يميز بين الأدب و اللا أدب . وهذا التخيل في السرد لا ينافي مصداقية الرحلة وواقعيتها)²

والرحلة تختلف عن الرواية في صناعة السرد حيث أن الرحلة تسرد أحداثا و أماكن و أشخاص و أزمنة واقعية و حقيقته، ورغم أن الراوي (الرحالة) يتحري المصداقية " فإن وعيه وثقافته و خبرته تلعب دورا في جعل خطابة السردى خطابا تخيليا لما عايشه و شاهده"³. و الكاتب الرحالة إنما يعيد بناء تلك المشاهدات أثناء سفره، ومن ثم يكون الخطاب الرحلي بصفة عامة خطابا تخيليا، و الواقعية و المصداقية التي يحرص الراوي على تحقيقها لا تتعارض مع مبدأ التخيل فالتخيل طريقة في الكتابة لصياغة الحدث .

05.02- العجائب و الغرائبي :

ونقصد به " انفعال النفس عما ما خفي سببه "⁴ ويترك أثرا في القارئ وهو التردد الذي تحدته مواجهه حدث فوق طبيعي و تكون الحكاية عجائبيه بمجرد أن الشعر القارئ بإحساس الخوف و الرعب و بحضور عوالم و قوى غير مألوفة"⁵ وهذا العجائبي الذي يعتمده الرحالة في سرده يجعل المتن الرحلي يملك بعدا أدبيا كما يسهم في تنويع السرد.

¹ - نفسه ص 27

² - ينظر م . س . ص 30

³ - ينظر م . س . ص 31

⁴ - الجرجائي / مادة عجب

⁵ - عبد م . س . ص 34 عن الزاهيدي كتاب العين / بدون 1988 ج 1 ص 235

03- الرحلة و الاثنوجرافيا

01.03 - الاثنوجرافيا المفهوم والدلالة

إذا ما حاولنا إعطاء تعريف بسيط للأثنوجرافيا، فحتما سنتطلق من اعتبار أن الرحلة اكتشاف للإنسان و المحيط و العالم، فالرحلة مستكشفين ووصافين لأقوام البشر و شاهدين لأحداث تاريخية و بعد هذا الوصف تأتي الدراسة لأساسيات المنظومة المعرفية للثقافة الإنسانية في زمن ما و بين مجتمعات مختلفة، هذه الدراسة تقترب من مفهوم الإثنوجرافيا التي تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة، و مجموعة التقاليد، و العادات و القيم، و الأدوات و الفنون، و المآثرات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة¹ و في مقابل هذا المصطلح نجد مصطلحا آخر هو " الأثنولوجيا " الذي يهتم بالدراسة التحليلية و المقارنة للمادة " الاثنوجرافية بحثا عن تصورات نظرية أو تعميمات لمختلف النظم الاجتماعية الإنسانية² و عليه يكون المصطلحان خادمان لبعضهما و يشكلان مجالين لدراسات الاثنولوجيا، ونعني بها الدراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا و حضاريا .

إذا فموضوع الاثنوجرافيا هو وصف دقيق و مترابط لثقافات المجتمعات الإنسانية، و بمعنى آخر دراسة طبيعة للبلدان وخصال أهلها و أساليب حيواتهم و طرائق معيشتهم و طرقهم المستعملة و حتى عناصر العقاقير و الآلات و المعادن، وألسنتهم ومذاهبهم وكل ما يتعلق بهم من قريب أو بعيد . وهكذا تقوم الاثنوجرافيا بالاهتمام بالجوانب و العناصر المادية و المعنوية، جمعا ووصفا وهذا يدل على القيمة العلمية لتلك المعلومات الوصفية عن الأقاليم و الناس و أحوالهم .

02.03- المضمون الاثنوجرافي في كتابات الرحلة

إن المؤلفات التي تضمنت أدب الرحلة معظمها تزخر بالمضمون الاثنولوجي، إلا أن كل نص رحلي اهتم بجانب معين و موضوع معين عبر الزمان و المكان. حيث أننا نجد منهم (من اهتم

¹ - حسين محمد فهيم أدب الرحلات / م من ص 44

² - بنظر م. سابق ص 44

بوصف الأقاليم و منهم من أسهب في وصف العادات و التقاليد لأفراد الجماعات الدينية، و منهم من جمع بين الاثنين)¹ وهذا التنوع الثقافي في مادة الرحلات إنما ينمُّ " عن طبيعة التنوع الثقافي بين البشر رغم اشتراكهم في الحاجة الى إتباع الحاجات الحياتية الأساسية "² فالجماعات الإنسانية تختلف عن غيرها في إتباع تلك الحاجات، غلا أن كل جماعة في النهاية تسعى إلي تشكيل ما يسمى ب " الثقافة لها . ونعني بها أسلوبها الخاص في العيش و الحياة و ما يتضمنه من آداب و عادات و تقاليد و نظم اجتماعية و إنتاجية، وهذه الثقافة إنما تأتي نتيجة لذلك التفاعل بين بني لإنسان و الكون و متطلبات الحياة . وإن ظاهرة التنوع الثقافي تسهم في فهم مسار حضارة الإنسان كما تسهم في التطور و التغيير نحو الأفضل .

المبحث الرابع : الرحلة والرحالة في الجزائر

الأدب الجزائري ليس بدعا أن يخوض غمار الكتابة في المتن الرحلي، فلقد كان له نصيب فيه، على مر العصور، وهذا ما نلاحظه من الكم الهائل من الرحلات التي كتبت، وهي نماذج كثيرة ومتنوعة، اختلفت مساراتها، وتعددت مضامينها وتنوعت مقاصدها وتباينت مستويات التعبير فيها ناهيك عن اختلاف في الشخصيات الرحالة من حيث الفكر والثقافة والسياسة، ومن ذلك المنطلق اختلفت الرحلات فكان لكل رحالة وجهة هو موليتها، فمنهم من قصد بيت الله الحرام لتأدية مناسك الحج، ومنهم من سافر لتجارة، ومنهم من تنقل لسفارة وسياسة، ومنهم من كان هدفه الاستطلاع والاكتشاف بحثا عن معلومة أو طلبا لجغرافية مكان أو تاريخيته ..

يمكن اعتبار رحلة **المقري التلمساني** من أهم الرحلات الأولية الشهيرة في القرن الحادي

عشر للهجرة، (حيث قام المقري بأول سفره من تلمسان الى فاس بالمغرب الأقصى عام 1009هـ)³

¹ - ينظر حسين محمد فهيم أدب الرحلات م . سابق ص 46

² - م سابق ص 46

³ - المقري، ابوالعباس، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح / احسان عباس، دار

صادر ج 01 ص 13

حيث تردد على مدنها وخالط مشايخها مشغلا بالقراءة والتدريس كما شغل بها القضاء بعد استكمال تكوينه العلمي فعرفه العام والخاص،، أما رحلته فتضمنت (معلومات تاريخية وأدبية تهم صاحب الرحلة والمحيط الذي عاشه هناك من مخاطبات ومراسلات كانت بينه وبين امرء وفقهاء عصره)¹

كما للمقري رحلة الى المشرق تضمن أيضا مساجلاته ومخاطباته مع اعيان عصره، وهذا يدل على مكانة المقري في المشرق والمغرب في ذلك العهد. وظل متنقلا الى أن وافاه الأجل .

* وبعد رحلة المقري تأتي **رحلة الحسين الورتلاني** الذي زار تونس طرابلس ومصر والحجاز عنونها بـ " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار " فوصف المكان والأهل والعلماء والعادات والتقاليد في المدينة المنورة ومكة أثناء تادية مناسك الحج .ولعل هذه الرحلة من أهم الرحلات التي حظيت بتسجيل (الأخبار الجغرافية والتاريخية للبلدان العربية)² .

أما **رحلة محمد أبي راس الناصري المعسكري** فقد تميزت بالعلمية أينما حل وارتحل حيث امتحانات الحفظ والمناظرات، فلقد تنقل ابوراس بين عدة مدن في الغرب الجزائري كما زار الحجاز ومصر والشام وفلسطين، حتى ضاع صيته في هذه البلدان التي زارها لعلمه الواسع وذاكرته الحافظة فلقد كان علامة ومحققا وحافظا، حيث يدعى سيوطي الجزائر .ولقد جمع هذه الرحلات التي قام بها في كتابه الشهير المحقق والمطبوع تحت عنوان " فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته " ولقد تنوع الحديث في الرحلة، حيث تحدث عن حياته ونسبه وشيوخه وتلامذته ثم انتقل الى الرحلة وما جرى فيها من لقاءات ومناظرات وامتحانات في العلم والفقه، وهي رحلة علمية ثقافية من طراز خاص الغاية منها العلم ليس الا³ . حيث أشاد بالعلم والعلماء ووصف الحواضر والثقافات المختلفة، كما أبدى الشيخ أبو راس اهتمامه بالجلسات العلمية واثرها في نفسه معجبا مرة ومفتخرا مرة أخرى

¹ - ينظر مجلة العلوم الانسانية، جامعة الامير عبد القادر، علاوة عمار ع: 06 أكتوبر 2005 ص 201

² - ينظر سميرة انساعد، الرحلة الى المشرق العربي في الادب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى الجزائر 2009

³ - ينظر ابي راس الناصري، فتح الاله، تح محمد بن عبد الكريم المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990م ص 179

وبعدھا تأتي رحلة محمد السعيد بن علي الشريف حيث تغيرت مع شيخنا محمد السعيد الوجهة فأصبحت الى فرنسا من سنة (1852م) (لحضور المهرجان الذي أقيم احتفالاً بـ"نابليون الثالث"، وقد تحدث في مقدمة رحلته عن دور العلم والحث على طلبه ثم الاشارة بالمدارس الفرنسية، ثم ينطلق في وصف الرحلة عبر البحر وما وقعت عليه عينه من مناظر مقارنة العرب بالغرب حيث لا مجال للمقارنة عنده، فوقف مبهوراً أمام جمال الطبيعة وتنوعها وعناية أهلها بالنظافة، حتى يصل الى باريس التي أثارت إعجابه ودهشته لما فيها من حركة وضوضاء)¹

وفي نفس الاتجاه تأتي رحلة سليمان بن الصيام، الذي زار فرنسا في الوفد نفسه الذي ذهب إليه سابقه، وكان بن الصيام واسع الثقافة وشغل مناصب كثيرة وقد "عني في رحلته بوصف الطبيعة والآثار والقصور التي شاهدها والقطار والباخرة ووصف المسارح والمكتبات".²

هاتين الرحلتين تمثلان نموذجاً في أدب الرحلات الجزائري الذي من خلاله يتم التعرف على نظرة العربي للآخر (الغربي). ومهما يكن من دافع للرحلة فإن القارئ يستشف دقة الملاحظة في النص الرحلي والتقصي في تسجيل المشاهدات والمعاناة الشخصية للأحوال السياسية والاجتماعية للبلدان المزارة.

*أما مؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر الجزائري فقد كانت له صولات وجولات وكثرة ترحال بحثاً عن العلم والمعرفة، حيث قام بعدة رحلات زار من خلالها الحجاز والشام ودمشق، فكانت رحلته رفقة والده الى الحج سنة 1825م مروراً بتونس ومصر ومنها الى الحجاز مع وفد، حيث استقبل هناك بكرم وحفاوة "وصل الوفد الى جدة فقام الرئيس سعيد بضيافتهم في دار الضيافة يعجز المرء عن وصف كرمه، ثم مضى الوفد فسار يومين عامرين بالذكر والتلبية والتهليل حتى الوصول الى الكعبة المشرفة، وأنعم به مقاماً وترحالاً في زمن الود والإخاء"³. وقد استفاد الأمير من رحلاته

¹ - عبد الله الركبي، تطور النشر الجزائري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع 2009 د ط ص 59

² - عبد الله الركبي تطور النشر م نفسه ص 70-

- ينظر رحلات ورحالون في النشر العربي الجزائري الحديث، عمر بن قينة، دار الأمة للطباعة والنشر، ط 02، 2009م ص ص

علما وحلما وحكمة وسياسة حتى كانت له تلك المكانة العلمية والأدبية والسياسية التي حظي بها، فخلف أباه في تسيير شؤون الرعية ومن ثم جاهد واجتهد وقاد الأمة وأسس الدولة الجزائرية الحديثة .

* وهناك رحلات عديدة أخرى يمكن ادراجها ضمن هذا المبحث كرحلة **عبد الحميد بن باديس** التي نشرها في مجلة الشهاب إذ نجد أكثر من رحلة كالرحلة الداخلية التي زار فيها الغرب الجزائري وهدفها دعوي تعليمي (توحيد الله والتفقه في الدين والرجوع الى كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ورفع الأمية والجدد في أسباب الحياة) ¹ وصف فيها الرحالة الاماكن وصفا ماديا ثم انتقل الى الوصف الروحي الفكري من خلال نقاشاته مع المشايخ والعلماء نابذا الاختلاف والفرقة، داعيا الى الاخوة والوحدة .

* أما رفيق دربه **الشيخ البشير الإبراهيمي** فقد رحل مع الأسرة الى الحجاز حيث طلب العلم هناك وقد مر في رحلته بتونس وليبيا ومصر وصولا الى بلاد الحرمين . وفي كل مدينة إلا ونهل من معارف وعلوم صلحائها وعلمائها، ففضى اوقاته هناك بين التعليم والتعلم وحلقات العلم، وقد وجد في مكتبات المدينة المنورة " ضالته فانكب عليها يلتمسها التهاما وكان في المدينة يعلم ويتعلم " وله رحلة أخرى الى دمشق فعمل هناك "مدرسا للأدب العربي وتخرج على يديه كثير ممن يحمل منارة الفكر في الشام في أيامنا هذه " ³ . ولقد عاش البشير في بلاد الشام معززا مكرما لما حظي به من مكانة أدبية وعلمية .

ثم عاد الى ارض الوطن، كما كانت له رحلة ثانية الى المشرق ممثلا لجمعية العلماء المسلمين، هذه الرحلات كانت لها قيمة ادبية ولغوية كبيرة وهو من هو، ضليع في اللغة يملك ذاكرة حافظة عندما تقرأ له تشعر أنك في عصر ذهبي لغة وأدبا، وقد تناول في رحلاته مواضيع متعددة ومتنوعة، دينية وسياسية واجتماعية وأدبية، هذا ماجعلها تختلف عن الرحلات الكلاسيكية الأخرى .

* وفي نفس السياق نذكر رحلة **أحمد رضا حوحو** الذي ترك لنا أعمالا أدبية تعالقت مع السيرة مرة والرحلة مرة أخرى، فكانت له رحلة الى الاتحاد السوفياتي، عام 1950م وقد سجل هذه الاخيرة انطلاقا من باريس ووصولا الى براغ، وحكى عن مشاهدته هناك والعجائبية التي تلمسها من

¹ - آثار عبد الحميد بن باديس، مقالات، إعداد وتصنيف عمار طالبي، ط01، 1968، الشركة الجزائرية للطباعة ص 295.

² - ينظر الملتقى الدولي للبشير الإبراهيمي،، بطاقة حياة، محمد عمارة دار الغرب الاسلامي ط01، 2006 م ص 171.

³ - ينظر محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، ط01، 2007، ص 140.

اختلاف العادات والتقاليد بيننا وبينهم، فأعجب بحضارتهم ونظام حياتهم وطريقة تفكيرهم ثم راح يصف مدن السوفيات، التي امتازت بنظافة شوارعها وشهاقة بناياتها وجمل عمرانها . كما تحدث عن الجانب الثقافي والتعليمي والابداعي،

فعلا إن أدب الرحلة في الجزائر ليحمل قيما علمية وثقافية وتصوفية وعمرانية، لهامصداقيتها في الحفاظ على الهوية الجزائرية، وهي مصدر من مصادر ثقافتنا وتراثنا العريق، ومن ثم وجب الاعتناء بهذه الرحلات وبنفض الغبار عنها والمطالبة بتحقيقها . حيث أن هناك عدد كبير من الرحلات لم تحقق بعد وهي حبيسة أدرج الخزانات القديمة سواء في الزوايا أو عند الخواص وهي عرضة للتلف والضياع لذلك يطرح السؤال على مشاريع الدكتوراه مستقبلا لتولي عنايتها بنفض الغبار عن هذه المتون وإعادة قراءتها وفق طرائق ومناهج البحث المعاصرة .

الفصل الثاني

- مضامين الرحلة
- وتقنية الوصف في الرحلة
- تلقي الآخر للرحلة

المبحث الأول: التعريف بالرحلة وصاحبها.

مفهوم الرحلة: الرحلة مشتقة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر، لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، حيث تشكل مجالاً مرجعياً مهماً ومادّة أساسية أصبح الباحث يؤسس عليها معلوماته النظرية، ويبنى أفكاره التاريخية، وقد صنّف أغناطيوس كراتشكوفسكي الرحلة العربية أساساً ضمن " الجغرافيا الوصفية التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً قصص الرحلات " ¹، فهي تتميز بالغنى والتنوع في مضامينها وفي أشكالها ما يفيد بتشبيهها بفناء بيت تفتح فيه أبواب حجرات متعددة²، إن هذا التميّز والغنى الذي يعتري الرحلة من شأنه أن يجعل دراساتها تتجه اتجاهات مختلفة تبعاً لاهتمامات الباحثين، وتتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلة، وتختلف من شخص إلى آخر ومن زمن إلى آخر إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون بسبب إما دوافع دينية أو دوافع تعليمية أو دوافع سياسية أو حتى دوافع حربية، واقتصادية، إلا أنه وبالرغم من الأهمية التي تحظى بها هذه المصادر إلا أنّ الاعتماد على ذلك الكم من المعلومات الوارد في بعض الإشكالات سواء على مستوى المعرفة أو المنهجية، ومن بين أهم هذه الإشكالات التي تطرحها مصادر الرحلة، هو مدى تحري مؤلفيها الصدق والحقيقة في كتاباتهم التاريخية؟ ثم ما الدافع الأساسي للرحلة في حدّ ذاته؟ خاصة في العصر الحديث. الرحلة لها أهدافها المادية و المعنوية فهي تتميز بالغنى و التنوع في مضامينها تعدد دوافعها الدينية التعليمية السياسية الحربية و الاقتصادية

¹ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة من الروسية: صالح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1987، ص 20.

² - محمد حاتمى، مقال بعنوان: في الخطاب الرحلي الموقع الإلكتروني.

ومن بين الرحلات التي اخترناها لهذه الدراسة رحلة الحاج بن الدين الأغواطي¹ هذه الرحلة التي يبدو أنّها لا تزال بحاجة إلى عناية الباحثين في المجال التاريخي، خاصة وأنّها اقترنت بفترة كان للكشوف الجغرافية والبعثات الأوروبية أثرها في التمهيد الاستعماري خاصة الفرنسية والأمريكية منها. يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله²: "لقد مرّ عثورنا على هذه الرحلة بمراحل لا بدّ من ذكرها، فأتنا مطالعتي لحياة وأعمال القنصل الأمريكي في الجزائر وليام شلير"³، وجدت إشارات قادني إلى حياة خلفه في المهنة وهو وليام هودسون، ومن خلال تتبعي لحياة ونشاط هودسون، وجدت ما ترجمة من رحلة ابن الدين الأغواطي، وهكذا اتصلت بأحد المؤلفين الجزائريين في الجغرافية والتاريخ عن طريق أحد قناصل الولايات المتحدة في الجزائر، لقد تم العثور على المخطوط، من قبل المرحوم أبو القاسم سعد الله وقد ذكره في كتابه⁴: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري سنة 1985م، كما ذكره في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر سنة 1990م، ثم قدّمه بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011م في طبعة خاصّة.

التعريف بالحاج بن الدين الأغواطي:

الحاج بن الدين الأغواطي - حسب مترجم النص لم يكن معروفاً على مستوى الجزائر في وقته - رغم أن هذا الاسم - ابن الدين - كان موجوداً في المناطق التلية بالجزائر، وقد سألنا عنه بعض المثقفين من أهل الاغواط فأفادونا أن عائلة ابن الدين مازالت موجودة وأنه كان معروفاً في وقته وأنه

¹ - الحاج ابن الدين الأغواطي الموقع الإلكتروني: [http:// www.sidielhadjaissa. Com/ articale](http://www.sidielhadjaissa.Com/articale) 54811960. html

² - د. أبو القاسم سعد الله من مواليد 1930، [http://monta.da.echouroukonline.com/show](http://monta.da.echouroukonline.com/show_thread_php=11090) thread php=11090

³ - سياسي ومفكر أمريكي مشهور، ولد سنة 1778م، على الموقع الإلكتروني:

<http://vb.tafsir.net/tafsir23683/vfc6fgf8bfw>

⁴ - مجموع الرحلات لأبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية لنشر الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص81.

كتب عملاً استحوذ عليه الفرنسيون¹. وابن الدين الاغواطي لم يكن معروفاً في الجزائر، كانت له أعمال و دواوين استحوذ عليها الفرنسيون.

ولعل اسمه " الحاج " يدل أنه أدى مناسك الحج، وتوقف في بعض العواصم الإسلامية كغيره من حجاج وقته- كما أن وصفه للدرعية- عاصمة أول دولة سعودية وهابية يدل على أنه لم يتوقف عند زيارة الحجاز، وقد ذهب إلى وصف أماكن من إفريقيا مثل شنقيط وتمبكتو وغدامس... لا نعرف بالضبط أنه زارها بنفسه رغم أن كلامه يوحي بذلك².

الحاج ابن الدين ذكر عدة مناطق منها العواصم الإسلامية و أماكن من إفريقيا لكنه من غير الواضح انه زارها حقاً أما كلامه فكان يدل على ذلك.

دافع الرحلة

* باعث سياسي أو حربي رحلات الجواسيس:

إن الجوسسة فن من الفنون الاستراتيجية في أي عملية من عمليات البناء السري للدول خصوصاً منها السياسي والحربي، لذلك تسعى كل الدول ومن الأزل إلى تنمية وتطوير عملية الجوسسة إلى أن صار علماً، والجوسسة هي الكاشف الحقيقي لأي مناورة تقوم بها أي دولة في مهامها الكبرى. ومن دون شك فإن رحلة الأغواطي كانت رحلة للجوسسة لأن رحلته كانت تنقل وصفاً جغرافياً اعتمد فيعا على الدقة لدى رسم المواقع والاحصاء التام لكل كبيرة وصغيرة، بل حتى الأمور التي تعد تافهة.

وهي نوع من الرحلات التي كانت لها فائدة إضافية للجغرافيا حين كانوا يكلفون بجمع المعلومات عن ثغور الأعداء وحصونهم.

¹ - الحاج بن الدين الأغواطي. رحلة في شمال إفريقيا والسودان، تر: اودسون إلى الإنجليزية وتر: أبو القاسم سعد الله إلى العربي، منشورة في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 1986، ص 243.

² - المصدر نفسه، ص 143.

ويعتقد أن الرحلة تحتوي على معلومات تهم جغرافية اقليمية بحيث قد تكون مفيدة للرحلة في المستقبل. إن معظم المدن والشعوب التي تحدث عنها ابن الدين الأغواطي غير معروفة جيدة بل أن بعضها لم يشر إليها أي رحالة أو جغرافي أوروبي من قبل. حتى ليون الإفريقي نفسه لم يذكرها.

"إن هديني الأساسي من الحصول على هذا المخطوط هو التأكد على امتداد رقعة اللغة البربرية، وقد أظهر المخطوط لحسن الحظ، إن هذه اللغة هي لسان السكان في كل مكان بشمال إفريقيا، وأن الافتراض بأن بعض القبائل بجوار طرابلس تتكلم اللغة القبطية يلغي لتبرير بحث في لهجة تلك القبائل وإنني أتوقع أن تكون تلك اللهجة هي البربرية بعد أن أفسدتها الفينيقية مؤكدين ما كان أكده ستارابو"¹

ومن هذا القول يتضح لنا أنه كان يدرس المنطقة ويتجسس عليها لغرض الاستعمار.

"لقد أعددت ترجمة لرحلة قصيرة في شمال إفريقيا قام بها الحاج ابن الدين الأغواطي، وهذه الرحلة كتبها صاحبها بطلب مني، وقد دفعت له ثمن² ويبدو أن تراثا كبيرا في إقليمنا لا يزال لم ير النور بعد، مادام أن الرحلة الأغواطية التي يرى البعض أنها يمكن أن تكون أطول مما ذكر.

فابن الدين قدم جزءا منها فقط، حينما عرض عليه القنصل الأمريكي ثمن مقابل المعرفة بهذه المدن، والقرى الصحراوية فاكتفى بهذا الملخص، الذي احتوى على أربعة عشرة صفحة، فيما ذكره أبو القاسم سعد الله رحمه الله، الذي ترجمها للمرة الأولى بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011.

إن الرحلة الاغواطية قد كانت بطلب من القنصل الأمريكي للاغواطي بكتابتها مقابل دفع له ثمن ذلك لكنه لم يقدم له سوى ملخص و ترجمت فيما بعد الى الانجليزية ثم أعاد ترجمتها الى العربية الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله .

¹ الحاج بن الدين الأغواطي. رحلة في شمال إفريقيا والسودان م. س ص 144-

²-نفسه ص 144

علاقة هودسون بابن الدين الأغواطي:

من خلال ماكتبه أبو القاسم سعد الله فإن هذه العلاقة يشوبها نوع من الغموض من خلال

هذه الأسئلة:

- هل التقى هودسون بابن الدين ؟
- هل زار هودسون الأغواط ؟
- لماذا أشار هودسون على ابن الدين بكتابة رحلته ؟
- هل أن نص الرحلة كان طويلاً وتم اختصاره لهودسون ؟
- لماذا احتاج هودسون لنص الرحلة الأغواطية فقدم أجراً لابن الدين من أجل تقييد معلومات الرحلة؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة قد تمكن الباحث أن يستشف من خلالها موضوعاً متكاملًا عن دور الاستشراق في التمهيد للاستعمار أولاً، وأهمية الرحلات المغربية من خلال توظيفها في الدراسات التاريخية ثانياً:

- إن تقييد تاريخ الرحلة لم يكن دقيقاً ويمكن حصره بين تاريخ تواجد القنصل الأمريكي في الجزائر بين 1825م و 1929م.

ويبدو أن نص الرحلة كان من اهتمامات هودسون، وهو أن هذا الأخير بالإضافة إلى خروجه من أمريكا إلى الجزائر في إطار مهمته السياسية، حيث كان ينشط ضمن الجمعية الفلسفية الأمريكية التي كان مقرها بمدينة فيلادلفيا، إذ بمجرد رجوعه إلى بلده بعد 1829 ألقى بحوثه عن شمال إفريقيا ولغته وأهله وجغرافيته أمام هذه الجمعية الأمريكية التي نشرت له هذه الأعمال والتي كان أهمها الرحلة الأغواطية.

تعرف هودسون على اللغة البربرية واعترف بأنه كان مهتما بجمع المعلومات عنها، حيث يقول
 " هديني الأساسي من الحصول على هذا المخطوط هو التأكد على امتداد رقعة اللغة البربرية وقد
 أشار إلى أن الرحلة الأغواطية حصل من خلالها على معلومات لم يسبق للأوروبيين أن عرفوها¹، إن
 هودسون لم يفصل الحديث في علاقته الشخصية بالحاج ابن الدين وكان هدفه الأساسي جمع
 المعلومات المهمة التي لم يعرفها الأوروبيون .

المبحث الثاني : مضامين رحلة الاغواطية

الجوانب الاقتصادية في الرحلة الأغواطية:

وهي الرحلة التي ترجمها المستشرق الأمريكي هود سون مستشار المندوبية الأمريكية في
 اسطنبول مشيدا بأهميتها، ثم تلقفها المترجمون الفرنسيون، والرحلة ترشدنا إلى المسالك و الطرق التي
 كانت تربط بين المدن الجنوبية، مع محاولة ضبط للمسافات الفاصلة بينها . أما عن المناطق و المدن
 فقد كان يعمد إلى توصيف مفصل لمدن الجنوب الجزائري، وموقعها وجغرافيتها وأسوارها و حصونها و
 عمراها.

والرحلة الأغواطية رغم قصر ما وصل إلينا منها فهي تتحدث عن المجال الاقتصادي للمدن
 التي زارها على أغلب الظن، حينما يوقفنا على بعض المسائل المتعلقة بهذه الجوانب بقوله واصفا
 منتجات الأغواط الزراعية: " وهي تنتج الفواكه بكثرة، ومن بينها التمر، والتين والعنب، والسفرجل،
 والرمان، الإحاص. أما العملة المتداولة فيها فهي عملة الجزائر وفاس والتجارة فيها رائجة"² أما مدينة
 تجتمعون فكأنه أحالنا إلى أهم مصدر اقتصادي لها يتمثل في الملح بقوله: "... وهناك أيضا جبل من
 الملح بالقرب من جبل عمور...". تميزت مدن الاغواط بشهرتها بالمنتجات الزراعية و التجارة
 فاحتلت بذلك مكانة اقتصادية كبيرة في الرحلة الاغواطية

¹ - المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد: 13 جوان 2015م ص 178.

² - الرحلة الأغواطية، ص 87-88.

و قال عن عين ماضي بقوله: "... ولحاكمها الذي يسمى ولد التيجيني، حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود..."¹، وقد استطرد ابن الدين الأغواطي الكلام في توصيفه لبعض المجالات الاقتصادية لإقليم جبل عمور: "فيه مائة عين جارية، وينبع منه نهر كبير يسمى تمر الخير وهو مشهور عند الجميع، وأرض الجبل صالحة للزراعة وفيه كل أنواع الخشب... والسكان هناك يربون الإبل، وبعضهم يربي المعز والغنم..."² وحول الموضوع ذاته يعمم ابن الدين مسألة اقتصادية على عامة أهل الصحراء حينما يسرد لنا طرقهم في صناعة البارود بقوله: " وجميع السكان يعرفون صناعة البارود، وطريقتهم فيه هي هذه: يجمع التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهذمة وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه الماء بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون ثم يغلي الماء³ إلى أن يصبح فائراً، ثم يؤخذ رطلاً منه ويختلط بأربعة أرتال من الكبريت، وأربع أرتال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعاً في غضون أربع ساعات فتصير باروداً، وفي الصحراء منجم من الرصاص، والعرب يأتون منه بكميات لبيعها، ولا يقع هذا المنجم تحت سلطة أي قبيلة، وهو يقع شرقي أولاد نايل ويسمى جبل الرصاص"⁴ وحينما يسلك ابن الدين طريقة من ورقلة إلى توات عبر محطات عديدة لقرى ومداشر يعطي صورة شبه باهتة عن الحالة الاقتصادية في هذه الأقاليم إلا أن إحصاءه لعدد من آبار الماء وطريقة إستخراج مياهها، وتحديثه عن كثرة أشجار النخيل بورقلة يوحي بأن الزراعة السقوية هي أساس هذه المناطق المعتمدة على الري حينما يقول: "... وتبح ورقلة بأشجار النخيل... " ولورقلة منابع كثيرة"⁵ كما يوقف ابن الدين الباحث في الرحلة على سلسلة آبار مياه تتوزع على مسافة يوم بين كل منطقتين زارها عبر الرحلة الورقلية التواتية.

¹ - الرحلة الأغواطية، ص 88.

² - الرحلة الأغواطية، ص 88.

³ - الرحلة الأغواطية، ص 89.

⁴ - الرحلة، ص 90-91.

⁵ - الرحلة، ص 92-93.

لقد ذكر ابن الاغواطي كل منطقة ومكانتها في الاقتصاد وما تشتهر وقد حضيت مدينة تميمون من خلال رحلة ابن الدين بنصيب الأسد من الوقوف على جوانبها الاقتصادية وما ذكر عنها: " ... ولها سوق عظيم، وفيها التمر بالإضافة إلى غيره من الثمار وفيها مياه غزيرة، ويوجد فيها أيضا الشب الأحمر، وأغنامها مثل أغنام السودان... وتوجد فيها الخيول بكثرة، ويصل الماء إلى وسط البلدة حيث يحضرونه في الأنابيب(القنوات)، ولها سوق يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة ويباع تراب الذهب بوزن المثقال بالأوقية... وأهلها يملكون قطعانا كبيرة من الماشية، وللطوارق تجارة معهم...¹ .

وقد نوه ابن الدين باعتماد أهل القرارة عملة فاس في المعاملات التجارية " ... والعملة المتداولة في عملة فاس...²، وقد تعامل أهل صحراء شمال إفريقيا والسودان في جوانب اقتصادية مختلفة: ... إن البضائع المستوردة من السودان هي العبيد وتراب الذهب (التبر) وفي مقابل ذلك تصدر توات والقرارة الحرير والحديد والزجاج وأمثالها من السلع"³ و ظاهرة اقتصادية بالصحراء هو متاجرة أهل وادي سوف بالعبيد مع غدامس حيث يقول: "... وبعض السكان جعلوا من التجارة حرفة بحيث يذهبون إلى السودان مع التجار من غدامس، وذلك بهدف جلب العبيد وفي (غدامس) سوق عظيم"⁴. وعليه تكون التجارة بالعبيد صورة من صور الاقتصاد في الصحراء .

صور المجتمع الصحراوي خلال الرحلة الأغواطية:

تكلم ابن الدين عن المجتمع الصحراوي فذكر نماذج من المدن والقرى التي ذكرها في الرحلة في مواضيع مختلفة، وورد العنصر البربري بشكل يكاد يعطي صورة واضحة عن الانتشار الواسع لهذه الشريحة الاجتماعية مرفقا بالعادات والتقاليد واللباس والقبائل والنساء واللغة... إلخ فحين يجبرنا عن الأغواط يقول: "... ولغة سكانها العربية، وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها النساء

¹ - الرحلة، ص 93.

² - الرحلة، ص 94.

³ - الرحلة، ص 95.

⁴ - الرحلة، ص 96-97.

المحترمات من ييوتهن أبدأً (حسب الثقافة)، ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع... أما السكان فهم فريقان: فريق يسمى الأحلاف... وفريق يسمى أولاد سرقين، وهما غالباً في حالة بينهم... وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة...¹ وقد كان أهل تجمعات على نفس الظاهرة".

وينقسم سكان هذه القرية إلى فريقين، وليس لهم رئيس أو حاكم، وهم يتحاربون بينهم كما يفعل أهل الأغواط...²، وفي عين ماض "تظهر النساء في الشوارع..."، أما في متليلي فيوقفنا ابن الدين على لغة سكان الإقليم بالقول: "ولغة السكان العربية والبربرية وهم يركبون الجمال...". وهي لغة أهل ميزاب: "... ويتكلم السكان فيها البربرية"³، وعن سكان المنيعية فيهم " يتكلمون العربية ويركبون الجمال وليس لهم خيول، ولباسهم من الصوف... والنساء كالبديوات يذهبن إلى الآبار ويسقين الماء، ثم يحملنه على ظهورهن في القرب..."⁴، أما في ورقلة فإن السكان فيها ينقسمون "... بين ثلاث عروشهم: بنو واقين، وبنو إبراهيم، وبنو سيسين، ولغتهم البربرية وسكان ورقلة يسمون الرواغة، ولونهم أسود ولباسهم من الصوف والقطن..."⁵.

صور الاغواطي الصحراء و المجتمع الذي يسكن فيه , و معيشتهم و كل ما يتعلق بهم من ملابس و مأكلا ولغة.

وعن انتشار اللغة البربرية في الصحراء يؤكد ابن الدين ذلك من خلال وصف لمدينة تميمون: " إن تميمون بلدة كبيرة، ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعاً متراسة، و لها سوق عظيم. وفيها التمر، بالإضافة إلى غيره من الثمار، و فيها مياه غزيرة... و أهلها يتكلمون البربرية.. وتوجد فيها الخيول بكثرة. و لها سوق يباع فيه العبيد و تراب الذهب بكميات كبيرة... وأهلها يملكون قطعانا

¹ - الرحلة، ص 87.

² - الرحلة، ص 89.

³ - الرحلة، ص 90.

⁴ - الرحلة، ص 91.

⁵ - الرحلة، ص 92.

كبيرة من الماشية ويختلف لون بشرة السكان، فهناك البشرة البيضاء والحمرء والسوداء، وهم يلبسون الثياب الصوفية والقطنية ... وهم مسلمون صادقون يؤدون الصلاة، ويدفعون الزكاة ويقرأون القرآن¹، وقد تكلم أهل أولف اللغة البربرية هم أيضا "... والسكان فيها (أولف) يصومون ويصلون ويقرأون القرآن ويذكون وهم تحت نفوذ سلطان أولف، ولغتهم البربرية² هي لغة أهل القرارة فيما ذكره ابن الدين في الرحلة: " ويلبس السكان (سكان القرارة) ثيابا من الساي الأسود ومن الصوف ولغتهم البربرية ولوهم يميل إلى السواد...³ وتكلم أهل واد سوف اللغة العربية "... وهم يتكلمون العربية وأهل سوف يتمتعون باستقلال كامل، ولم يطيعوا أبداً أي سلطان...⁴، إذ يظهر ذلك من خلال خروج نسائهم إلى الشوارع والأسواق من خلال ما جاء في الرحلة. " ونسائهم يذهبن إلى السوق غير محجبات كما يظهرن في البساتين...⁵، لم يخف ابن الدين في وصفه المدن والمداشر والقرى شيئاً من جوانب هذه التجمعات السكانية وخاصة مظاهرها الاجتماعية حيث يوقفنا بالحديث عن غدامس وعن لغة وتقاليدها والمستوى الثقافي للسكان فيها حينما يقول: " وغدامس بلدة كبيرة... وسكانها يتكلمون البربرية، ولباسهم من الصوف والقطن، وبشرتهم سوداء، ونسائهم محجبات وفي غدامس عدد كبير من العلماء والطلبة... والنساء يطحنّ الحبوب في بيوتهن لعدم وجود المطاحن عامة وفيها عدد من العبيد..."، وجاء وصفه للطوارق على أنهم " أناس أشداء ولهم بشرة شديدة البياض، وطعامهم من اللحم والحليب... وهم يرتدون الساي القطني الأسود وسراويلهم تشبه سراويل المسيحيين... هم يتلثمون بلثام من القطن، ولا يأكلون ولا يشربون بحضور الناس...⁶ يصومون ويصلون ويقرأون القرآن ويذكون ولغتهم اللغة البربرية هم أيضا.

¹ - الرحلة، ص 93.

² - الرحلة، ص 94.

³ - الرحلة، ص 96.

⁴ - الرحلة، ص 96.

⁵ - الرحلة، ص 96.

⁶ - الرحلة، ص 98-99.

أما عن الجوانب الاجتماعية لإقليم تقرت فيحيلنا ابن الدين إلى قوله: "... وفي تقرت جماعة من الناس يسمون المجاهرية، وهم يقطنون حيا خاصة في البلدة، وقد كانوا في القديم يهوداً، لكنهم اعتنقوا الإسلام... وهم الآن مواظبون على قراءة القرآن ويحفظونه عن ظهر قلب... ويستطرد ابن الدين في وصف المجاهرية إلى أن يقول: "... ومن النادر أن يتزوج عربي بإمرأة من المجاهرية... لهؤلاء (المجاهرية) ثروة هائلة، ونسائهم تظهر في الأسواق محجبات، ويتحدثن بالعربية بينهن عندما يرغبن في إخفاء موضوع الحديث"¹

لقد اهتم ابن الدين بهذا الجانب في الرحلة حينما وقف بوصف الأسوار والمباني وحفر الآبار، وحفر القنوات، وتحصين البلدان في المناطق التي شملتها الرحلة بالمسح، فهو حينما يصف الأغواط يقف عن ذكر هذه الجوانب: "إن الأغواط بلد كبير محاطة بسور، وحولها تحصينات، ولها أربعة أبواب، وأربعة مساجد... وليس في هذه البلدة حمامات... وتوجد شرقي الأغواط آثار بلدة قديمة كان أمراءها مسيحيين، يقول: لعله يقصد الروم أو الرومان - وإلى هذه الأيام يرى المشاهد كثيراً من النقوش في هذه الآثار"² ولقد بنيت بلدة الأغواط من الطين بالدرجة الأولى، غير أن المنازل مبنية بالحجر والملاط، وليس للمساجد فيها منارات، كما ليس لهذه البلدة مكان مخصص للسوق، وليس بها حمام... ولا تقترب العقارب ولا الطاعون منها لأنها مبنية في موقع مفضل..."³ وقد بنيت تجمعات بنفس مادة بناء مدينة الأغواط وبيوتهم (أهل تجمعات) مبنية بالحجر والطين"⁴.

أما عين ماضي فقد أحيطت "بأساور، ولها بابان عظيمان - قام حاكمها بغزو وهران فاحتل معسكر لكنه قتل من قبل باي وهران..."⁵، أما مدينة غرداية فيها " ألفين وأربعمائة مسكن، بما في

¹ - الرحلة، ص 100.

² - الرحلة، ص 87.

³ - الرحلة، ص 88.

⁴ - الرحلة، ص 88.

⁵ - الرحلة، ص 88-89.

ذلك المساجد... وغرداية لها سور، ولها سوق كبير ومنارتان وبوابتان في السور...¹ ويقول مخبرا عن ورقلة : والمسافة بين المنيعه و ورقلة مسيرة خمسة أيام، وورقلة بلدة كبيرة جدا ، ولها سور يحيط بها فيه عدة أبواب ... و لورقلة منابع مائية كثيرة، وقد اتخذ أهل ورقلة لمدينتهم سور لتحصينها والماء يجلب (إليها) ب: حفر البئر على عمق مائة وسبعون ذراعاً... ويصبح (الماء) جدولا جارياً²، وليس بالضرورة أن يكون بناء الأسوار للمدن الكبيرة فقد كانت تميمون بلدة كبيرة ولكن ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعا متراصة، ولها سوق عظيم... ومنازل تميمون مبنية بالطين أو الطوب، ولها أربعة مساجد...³، أما مدينة أولف فنظراً لاحتلالها المركز الرئيسي في إقليم توات فقد كانت " محاطة بأسوار مبنية بالطين... (وكذا) جدران المنازل مبنية بالطين... وفي توات عدد من المساجد " وقد تربعت تقرت على " سوق عظيم جداً لها نفوذ على أربع وعشرين قرية وهي تحتوي على حوالي أربعمئة منزل، ومحاطة بأساور ولها أبواب، وهذه الأساور محاطة بدورها بخندق يمكن مقارنة ببحر من الماء... وعلى هذه الخندق ثلاثة جسور ولما سجد تقرت منارات عالية جداً...⁴.

ذكر الاغواطى تقرت و الاغواط ورقلة و تميمون غرداية و غيرها واهتم بالجانب العمراني كثيرا كما ذكر كل كبيرة و صغيرة من مساجد و أسواق و جسور .

ما يمكن تسجيله حول هذه المعالم الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والعمرانية هو سؤال يمكن أن يستجيب البحث له حينما تتوفر مصادر حول هذه الرحلة أولاً وحول شخصية ابن الدين ثانياً إذا يمكن حصر ذلك من خلال عدد من النقاط:

أ- إن الدقة واضحة في كثير من القضايا بسرد تفاصيلها في هذه الرحلة ومعاينة عناصر تركيب رحلته على الأقل بصحراء شمال إفريقيا.

¹ - الرحلة، ص 90.

² - الرحلة، ص 92.

³ - الرحلة، ص 93-94.

⁴ - الرحلة، ص 100.

ب- إن قصر مادة الرحلة، لعل فيه بعداً فكرياً (سياسياً) في كتابة النص بطلب من القنصل الأمريكي ويليام هودسون.

ج- إن كان الوصف بهذه الدقة لبعض أقاليم الصحراء، فإن لم يطبق في منهج ابن الدين على الرحلة الدرعية (الحجازية) فجاء الكلام جد مقتضب، ويحيلنا هذا إلى هدف المستشرق الأمريكي من الرحلة ذاتها (والمتمثل في معرفة معلومات أكثر عن الانتشار البربري بإقليم الصحراء).

د- لقد توفرت الرحلة على ذكر تفاصيل جعلت من الرحلة محط أنظار المستشرقين في القرن التاسع عشر فترجمت إلى الإنجليزية ثم الفرنسية لأهداف سياسية جعلت المنافسة حادة بين الأمريكان والفرنسيين في حمل مادة الرحلة محل الجدل، وتأخر الباحثون المغاربة في تحقيقها إلى أن وقف عليها المؤرخ المرحوم أبو القاسم سعد الله فترجمها للمرة الأولى بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011، ويبدو أن تراثنا كبير في إقليمنا لا يزال لم ير النور بعد، مادام أن الرحلة الأوغاوية التي ترى البعض أنها يمكن أن تكون أطول مما ذكر، ولعل ابن الدين قد جزء منها فقط حينما عرض عليه القنصل الأمريكي ثمن مقابل المعرفة بهذه المدن والقرى الصحراوية فاكتفى بهذا الملخص الذي احتوى على أربعة عشرة صفحة فيما ذكره أبو القاسم سعد الله رحمه الله.

إن هذه الرحلة هامة جدا فهي تحتوي على معلومات اجتماعية اقتصادية وجغرافية تتميز بالغنى والتنوع في مضامينها كما تعتبر من أهم الدراسات التاريخية المتعلقة بفترة الكشوف الجغرافية والبعثات الأوربية التي أثرت في التمهيد للاستعمار خاصة الفرنسي والأمريكي.

المبحث الثالث: قيمة الرحلة وتقنية الوصف فيها :

01- قيمة أدب الرحلة:

إن مؤلفات الرحالة ذات طابع علمي يهدف من خلالها أصحابها إلى تصوير الواقع كما هو، اعتماداً على مشاهداتهم، حيث نجد مؤلفات أخرى تعني برصد الواقع ونقل "الصور والمشاهد على التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه من يجتلي تلك المشاهد والآثار

والصور، وهذا هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيراً، ويجعل للرحلة سمة أدبية بدلاً من أن تقف عند حدّ التسجيل والتدوين"¹

أدب الرحلة العربي له قيمة العلمية تتجلى بشكل واضح في تزويد القارئ مباشرة بالمعلومات المستمدّة من الملاحظة المباشرة والمعاينة (الشخصية عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي تمت زيارتها أو أقام الرحالة فيها مدة معينة .ومنه فإن قيمة هذه الرحلات -عموماً - تكمن في رصد الجوانب شتى تاريخية وجغرافية و ثقافية و علمية و أدبية ،فهي تشكل معينا ثرا للمشتغلين بالتاريخ و الجغرافيا والآثار والبلدان، والمشتغلين بأخبار الناس وتقاليدهم وعاداتهم ،بل حتى المشتغلين بالأدب والفقه و فهي ترصد وعيون الكتب والمخطوطات، تؤشر على طرق التدريس والتلقين، وفضلا عما تفيد به المرتحل من علم وافر وتجارب، فالعلاقات التي ركز الرحالة على وصفها "تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب الناس اليومية .. لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث إنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره و تأملاته عن نفسه و عن الآخرين".² وترى نوال الرحمن شويكة أن "الرحلات تكشف مالا يكشفه التاريخ عام يشتمل على تصوير حياة البلدان الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية، ونظم الحكم لشعب من الشعوب، وهذا ماحققته الرحلات غير أنها أعطت كل ذلك بعده المناسب و تطرقت إلى تحليل جوانب لم تنطرق إلى تحليلها الوثائق ، فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستحلاء الواقع، وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة".³

إننا نرى في هذه الأعمال وما قدمت من مادة ثرية، دليلا بارزا على قيمة رحلاتهم في تزويدهم مباشر بالمعلومات المستمدّة من الملاحظة المباشرة، والمعاينة الشخصية للأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي زاروها، وعن طبائع أهلها وتقاليدهم ومعالم حضارتهم وهذا يشكل جوهر العمل

¹ -سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص.7

² -محمد فهيم 1989 صفحة 16

³ ينظر، الشويكة2008 صفحة 52-

الإثنوغرافي. هذا ولا يقتصر الأمر على كون هؤلاء الرحالة إثنوغرافين، وإنما نجد بعضهم على الأقل قد برزوا أيضا كأدباء، وأن مادة رحلاتهم قد زحرت بالعناصر الأدبية¹. فأدب الرحلات يعين أيضا المشتغلين بالأدب على رصد النصوص الشعرية التي أبدعها الرحالة في مناسبات شتى، وعلى الشعرية الخاصة التي يتأسس عليها المعمار الأدبي لهذا النوع من خطاب ذي التداخل الأجناس الواسع. هو كما يصوره حسين محمود "يتعرض إلى جميع نواحي أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ الجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير. فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة و مفاهيم أهلها على مر العصور، وهو ما حوته هذه الرحلات التي إن اختلفت في قوالبها وأشكالها وأساليبها ومضامينها إلا أنها تجمع على تقديم صورة مشرقة عن المجتمع الجزائري بتنظيمه الاجتماعي والعسكري، وفكره، وعلومه، لتدل على تقدم علمي وراقي حضاري، وقيادة عسكرية ناجحة لتدحض بذلك مقولات الرحالة المستشرقين المغرضة.

ويمكن أن نحدد قيمتين أساسيتين لأدب الرحلة:

القيمة العلمية والقيمة الأدبية.

أ) **القيمة العلمية:** تتمثل هذه القيمة في المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية ووصف للمدينة ونمط المعيشة، فكان أدب الرحلة بمثابة مدونة يلجأ إليها الكثير من الدارسين والباحثين لاستخلاص العديد من المعارف والمعلومات، ففي مجال التاريخ مثلاً، فهي تنقل ذلك الاختصاص بواقعية وبكيفية حية أما التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حيا البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية) إنَّ الرحلات " تطرقت إلى تحليل

¹-نفسه ص ص 13 و 14

جوانب لم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية، فقامت الرحلات بوضعها في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة¹

إنّ القيمة العلمية التي ميزت أدب الرحلة أنّ أصحابها شهود عيان لمختلف الأحوال والأوضاع، كما أنّها لها أهمية كبيرة وخير دليل هو ازدهارها بهذا الفن حيث يلجأ الرحالون إلى الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتهم وبذلك فهو يعكس لنا ما "وصلوا إليه من علم غزير وسعة فهم مع حرصهم على تدوين ملاحظاتهم أول بأول، ومن لم يتسن له ذلك قام بتدوين رحلته عقب عودته إلى بلاده والتزامه جانب الدقة وقوة الملاحظة في كل صغيرة وكبيرة"² كما ان الرحالة وهم يقدمون هذه المعارف المتعددة المناحي، فإنه يقدم في الوقت نفسه جانبا من سيرته الذاتية من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلته، فكان، بذلك أدب الرحلة ضربًا من السيرة الذاتية هو إبحار في التاريخ والجغرافيا، السيرة الذاتية إبحار في تجليات الزمان فإننا في النوع الآخر هنا "أدب الرحلة، يضيفنا في تجليات الزمان تجليات الجغرافيا على ألا يغيب هذا عن ذاك لأنّ الرحالة وهو يسرد لنا رحلته"³ من خلال تنقلاته ومشاهداته بالترتيب، هو في الحقيقة يقدم لنا جانبا من حياته، فتكون بذلك الذات عنصراً حاضراً في الرحلة بصورة ثانوية أو صورة محورية فهي (الرحلة) تطلعنا على سيرة أصحابها حقيقتهم وتكشف عن مواهبهم ودوافعهم للقيام بتلك الرحلات، والأثر الذي خلفوه للأجيال"⁴ ووجود هذا العنصر أدب الرحلة قربه من الشكل الفني.

القيمة الأدبية:

¹- حسين محمد فهم، أدب الرحلات ص16.

²- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية ص 88.

³- مصطفى عبد الغني، من أدب الرحلات: مشرق ومغرب الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2007، ص9.

⁴- نوال عبد الرحمان الشوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص244.

إن أدب الرحلة فن أدبي كان حافلاً بكثير من الأساطير والخرافات، ودق الوصف وارتقائه وجمال اللفظ وحسن التعبير، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي¹.

كم تتجلى أدبيته في عدة مواضع وذلك من خلال تلك الأساليب الفنية التي تقدم فيها موادها ل " ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني"²، فمن الناحية الأسلوبية نجد أن أدب الرحلة يتنوع أسلوبه في السرد وصف دقيق للمشاهدة المختلفة

وكثيراً ما يلجأ الرحالة إلى التصوير مرئية محسوسة وملموسة عن طريق "تحويل غير المرئي من معاني إلى المحسوس وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور..."³. فالرحالة يصورون كل شيء كما يروه بأعينهم

فالرحالة بعد أن يستقصي جوانب المظهر الحسي يقيم علاقة تشابه بينها وبين المحسوسات، مما يجعل القارئ يحس وكأن رحالة مثله يشاهد كل ذلك بعينه ولعلّ هذا ما دفع بشوقي ضيف إلى عد أدب الرحلة نتيجة لما تتسم به "خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، ونقصد به تهمة قصوره في فن القصة..."⁴.

كما أنه من غير المؤكد أن يكون ابن الدين قد زار أيضاً شنقيط وغدامس وغيرها من المناطق النائية التي تحدث عنها فإذا أخذنا في الاعتبار هذه الرحلة ابن الدين الأغواطي على غاية من الأهمية، فرغم كون الزيارة أو الرحلة إلى هناك غير مؤكدة إلا أن ابن الحاج استطاع تصوير المنطقة تصويراً دقيقاً وبفنيات كبيرة في السرد والوصف.⁵

¹- سي حامد النساخ مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، ص 8.

²- حسن محمد حسين، أدب الرحلة عند الغرب، ص 8.

³- بشرى محمد صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء.

⁴- شوقي ضيف، أدب الرحلات، ص 6.

⁵- ينظر الرحلة طبعت في لندن، بدون تاريخ ثم لخصت ذلك تلخيصاً وافياً (مجلة أمريكا الشمالية) يوليو 1832، وقد ترجمت هذه الخلاصة إلى الفرنسية في (حوليات الرحلات الجديدة) نوفمبر 1832 أيضاً.

هذه الرحلة غير الحجازية هي رحلة إلى الصحراء والواقع أنّ عمل ابن الدين هذا مازال غامضاً، ذلك أنّ معلوماته هامة ولكننا مازلنا في حاجة إلى معلومات إضافية عنه، فقد جمع بين الأخبار عن الصحراء وقراها وواحاتها وعاداتها وبين الحديث عن جزء من الجزيرة العربية وجربة وقابس وشنقيط ونحوها، ثم إنه ليس من الواضح أنه قد زار الأماكن التي وصفها، ولعله سمع عنها فقط باعتباره من سكان الأغواط إحدى مدن الصحراء التي تحدث عنها، حقا إنه قد حج، وهذا يؤهله للحديث عن الجزيرة العربية ولاسيما الحجاز وبعض أخبار تونس التي قد يكون مر بها، ولكن يكاد يكون من المؤكد أنه لم يزر الدرعية السعودية عندئذ.

تقنية الوصف في الرحلة

إن الوصف هو تصوير الأشياء لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي والتعبير عنها بأسلوب فني وعادة يكون الوصف إلا على مدى جودة أو سوء الموصوف.

يعتبر الوصف من أسهل وأعقد الطرق في سرد الكلام في آن واحد حيث إن وصف حالة معينة يسهل عليك تقديم صورة دقيقة للمتلقي بطريقة أسهل من إعطاء معلومات عادية. ورد في لسان العرب: "وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاه والهاء عوض من الواو وقيل الوصف المصدر والصفة الجلية الليث الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته وواصف الشيء من الوصف¹.

الوصف هو تقديم صورة كما تراها لإيصالها للمتلقي بكل سهولة .

يرى ميشل ريمون (M. Raimaind)، أن الأوصاف التي لها رؤية للفضاء لا تؤخر الفعل بل تحتويه، تكون عنه الصورة ملموسة².

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج9، مادة وصف دار صادر، بيروت، ص356.

² - حسن نجمي، شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص72.

يقول فيليب هامون: "أن الوصف ليس دائما وصفا للواقع بل هو الأساس ممارسة نصية"¹.
وقد ميز بين أربعة أنواع من الوصف:²

- كرونولوجيا: وصف الزمان.
- طبوغرافيا: وصف الأمكنة.
- بروزوغرافيا: وصف المظهر الخارجي للشخصيات.
- ايطوبيا: وصف كائنات متخيلة مجازية.

يهدف من وراء هذه الدراسة، لمعرفة تقنية الوصف، التي اعتمد عليها الأغواطي في الرحلة الأغواطية.

وأهم ما يميز الوصف في الرحلة الأغواطية هو الاهتمام بتقديم تفاصيل المشهد اليومي، فالكاتب لا يرى المشهد بعين اللحظة العابرة بل يراه من خلال ما يشاهده بعين فاحصة، الأمر الذي يجعل الوصف يشتغل من خلال العودة إلى الذاكرة ويجعل الحاضر يستدعي الغائب والكاتب لا يقدم وصف المكان وصفا عاديا، يحمل في طياته معطيات رمزية ودلالية.

يتوزع الوصف على عدة أمكنة الوطن، الجزائر وبلدان أخرى. التي تشكل من خلالها الوصف، ثم الاعتماد عليها في الوصف الطبوغرافي وفي وصف للبنى الفرعية الأخرى وهي الخاصة بالبنية الاجتماعية والبنية النفسية بناء على ما سبق يبدو أن الوصف لم يكن توقيفا للمحكي بل تحقق على طريقه نص آخر داخل النص الرئيسي.

لقد حاولنا من خلال الوقوف على تقنية الوصف في رحلة الاغواطي أن نصف الرحلة بقراءة واحدة من قراءات أخرى.

¹ - حسن نجمي، شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، ص72.

² - المرجع نفسه، ص70.

كرونوغرافيا (La coronographie):

ويتمثل في وصف مراحل الزمن الذي يستغرق السفر من منطقة لأخرى والصور التي تصادفه من بعض نماذج الرحلة.

إن هذه البلدة تقع غربي تاجموت وهي محاطة بأساور تشبه اساور طرابلس، ولها بابان عظيمان ولحاكمها الذي يسمى ولد التيجيني مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود ومنذ سنتين فقط (أي سنة 1243) جمع أخوه جيشا بهدف الزحف على وهران والاستيلاء على خزنتها¹ والمسافة بين هذه البلدة عين ماضي والأغواط مسيرة يوم² وفي مقطع آخر أن المسافة بين الأغواط ورأس الشعب يوم واحد.³

نلاحظ الاغواطي وصف الزمن بكل تقنياته وقد ذكر زمن زحف واستيلاء أخ ولد تيجيني على خزنة وهران بالضبط وهو عبارة عن سنة هجرية، أما عن أمثلة المسافات بين المناطق فقد وردت بكثرة، وهو بهذه الطريقة قد رسم مخطوطات لكل شخص لا يعرف المنطقة.

طوبوغرافيا (La topographie):

يتمثل في وصف الامكنة والمشاهد منها جبل عمور جبل عال جدا، وفيه مائة عين جارية، ويتبع منه نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع، وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة، وفيه كل أنواع الخشب، ويقدر طوله وعرضه بحوالي مسافة يومين لكل منهم، والسكان هناك يربون الابل، وبعضهم يربون المعز والغنم وهم من أجود الفرسان، ولغتهم هي العربية. ولا يحكمهم اي سلطان، ويقدر عدد المسلحين في جبل عمور ستة آلاف شخص بينما عدد مسلحي عين ماضي حوالي ثلاثمائة رجل اما مسلحو الأغواط فحوالي ألف.⁴

¹ - أبو القاسم سعد الله، مجموع الرحلات، رحلة الأغواطي، ص 88.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - المرجع نفسه، ص 89.

⁴ - المرجع نفسه، ص 89.

هذا الوصف الطبوغرافي له معاني ودلالات تمكننا من معرفة مصدر الرحلة. من أي منطقة تنتمي أو مسار الأحداث، فالمكان له تقنياته ومرجعياته في تكوين البعد الجمالي والايديولوجي للنص الأغواطي استعمل وصف الأمكنة، ورسم من خلالها صورة فوتوغرافية جمالية.

بروزوغرافيا (La prosopographie):

ويتمثل في الوصف الخارجي للشخصيات، سواء كانت رئيسية أم ثانوية أو تمثيل شخصية نصف شخصية اخرى.

نجد بعض النماذج في وصف الشخصيات اهمها: أن الأغواط... لغة سكانها هي العربية، وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها النساء المحترمات من بيوتهن أبدا، ولكن غيرهن في الشوارع¹، الشخصيات التي ذكرها هم سكان الاغواط وقد قام بوصفهم بطريقة بسيطة ليس فيها من الغموض شيء وكأنه يتكلم كلاما عاديا بعيدا عن اللغة الراقية لغة تقريرية وإخبارية. ويقول في موضع آخر وسكانها (يقصد المنيعه) يسمون بالشعابنة وهو يتكلمون العربية، ويركبون الجمال، وليس لهم خيول وسلاحهم من السيوف والبنادق والرماح ولباسهم من الصوف والنساء هن كالبديوات يذهبن إلى الآبار ويستقن الماء ثم يحملنه على ظهورهن في القرب.²

وسكان ورقلة يسمون الرواغة ولونهم أسود، ولباسهم من الصوف والقطن.³

البورتري (Portrait):

وصف الجانب الاخلاقي والجانب المادي في الشخصية، ومثال عن ذلك ما اورده، وهم مسلمون (يقصد سكان تميمون) صادقون يؤدون الصلاة، ويدفعون الزكاة، ويقرؤون القرآن⁴

¹ - أبو القاسم سعد الله، مجموع الرحلات، رحلة الأغواط، ص 91.

² - المرجع نفسه، ص 92.

³ - المرجع نفسه، ص 93.

⁴ - المرجع نفسه، ص 93.

والسلطان فيها (يقصد اولف) له جنود تضرب بين ايديهم الطبول، وله سلطة توقيع العقوبة والسجن، وهو يمتلك الخيول والرجال، ولكن ليس له خزانة دراهم.¹

ركز على المظهر الخارجي أو الشكل في وصف الشخصيات، وقد احتل الوصف مساحة نصية كبيرة في الرحلة، "ركز على علاقة الشخصية بالمكان في الرحلة، ودورها الفعال، فقد قامت هذه الانواع من الوصف بدورها الجمالي والدلالي من خلال ما سبق ذكره، فالوصف كان له دوره الفعال في بناء النص الرحلي كما شغل حيزا كبيرا داخل النص.

المتوازي (Le parallèle):

يتمثل في وصف التشابه أو الاختلاف بين الشيئين: "إن البضائع المستوردة من السودان هي العبيد وتراب الذهب، وفي مقابل ذلك تصدر القواررة الحرير والحديد والزجاج وأمثالها من السلع"². تحدث عن البضاعة المصدرة والأخرى المستوردة وبينها اختلاف.

المشهد (Le tableau):

وصف الأحداث، مثال على ذلك: "الصيدا يركب فرسه ويأخذ معه الطعام الضروري، كما يأخذ بعض الماء، وهو يسير ببطء إلى منتصف النهار، وفي هذا الوقت يتجمع النعام في قطعان تبلغ المائة أو تزيد وبمجرد ما يلمح النعام الإنسان يطير هربا منه، ويطارده الصياد أربع ساعات أو اقل، وفي هذا الوقت يكون ركض النعام قد خف من شدة العطش والخوف إما الصياد فيشرب الماء إذا عطش، وأخيرا ينجح الصياد في القبض على النعام التي يكون العياء قد أدركها على الأرض، ثم ينزل الصياد من على فرسه ويقطع أوداج النعام³. فتسقط على الأرض، الاغواطي يسرد لنا طريقة صيد النعام بشيء من التفصيل ولكن اسلوبه بسيط جدا.

¹ - أبو القاسم سعد الله، مجموع الرحلات، رحلة الأغواطي، ص95.

² - المرجع نفسه، ص97.

³ - المرجع نفسه، ص88.

المبحث الرابع: تلقي الآخر (الغربي) للرحلة العربية

01 الآخر والرحلة العربية

وفي الفترة التي قلت فيها رحلات المشاركة كثر عدد الرحالين المغاربة الذين اتجهوا صوب الشرق لأداء فريضة الحج، زيارة المدن الإسلامية الشهيرة مثل بغداد ودمشق والقاهرة ومن هؤلاء نذكر الرحالة الشهير ابن جبير (القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي)، إلا أنّ ذلك لم يدم طويلاً، إذ أنّ انعكاسات فترة عصر الانحطاط والتأخر الذي عمّ أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن التاسع تقريباً (الذي يعتبر خاتمة عصور الرحلات العربية في القرون الوسطى) ولمدة ثلاثة قرون بحالة من التردّي والانقسام والجهل، الأمر الذي أدّى بالناس إلى الزهد والقنوط واليأس، تمثّل كل هذا في نوعية رحلات هذه الفترة حيث اهتم الرحالة بتقديم المواعظ والحكم والأدب والدعوة إلى التصدّف وتسجيل أسماء الأولياء والصالحين والتبرك بهم، وخير من مثل هذا النوع من الرحلات عبد الله المراكشي العياشي (1679-1926م) صاحب كتاب ماء الموائد أو الرحلة العياشية الذي لم يكن وصف المدن وذكر أحوال الأقوام بها فيها سوى أمر ثانوي بالنسبة إلى موضوع المشايخ وآداب التصدّف.

والقارئ المتأبّي لهذه النصوص الرحلية الوصفية يقف على مدى ما فيها من مفاضلة بين المدن العربية الإسلامية من جوانب أهلها وطرائق حياتهم وهي مفاضلة تبدو وكأنّها قامت أساساً على منطلق ديني وأخلاقي بالإضافة إلى مجموعة من الفضائل التي قد تحلّى بها بعض حكامها مثل (الكرم-الجود والبذل وتكريم العلماء والفقهاء) أو تحلّى بها المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب: حين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق ومبعث ذلك أسباب كثيرة مختلفة رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلعاً حال بلدانها وآثارها، دارسا لغاتها وتاريخها وصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخرائط، ومنهم من وجه اهتمامهم إلى مصنّفات المصنّفين الأقدمين فأقبلوا عليها يتدارسونها، وكانت يوم ذاك مخطوطات تفرّق شملها في خزائن كتب العالم، محققين وناشرين بعضها إلى لغاتهم منهم من انصرف إلى التأليف إلى وصف المدن.

ومع بدايات القرن التاسع عشر تعدّي الانجذاب إلى الشرق مرحلة الدهشة والانبهار لدى الرحالين الأجانب إلى محاولة اكتشاف جديد للشرق والرغبة في معرفة أدق عن الآخر ما بين روائع آيات الماضي ومعاهد التاريخ من ضفاف النيل وطور سيناء إلى بيت لحم والناصرّة وبيت المقدس إلى مكة إلى المغرب العربي باختلاف مناطقهم وما يحفّ بهذه الأصقاع من آثار مقدسة، وما نهض في أحضان هذا التاريخ من إبداعات فكرية وحضارية تكونت حصيلة ضخمة من معارف أوروبا عن الشرق شكلت ما يعرف ب(علم الاستشراق) وتلقى المستشرقون تدريباً أكاديمياً مكثفاً وأصبح لكل جامعة أوروبية برنامج دراسي كامل في الاستشراق، وقد حظى هذا الاتجاه بالدعم المالي من الحكومات والجمعيات والمؤسسات العلمية، لذلك لا يمكننا تجاهل الدور الكبير الذي لعبه هؤلاء المستشرقون في تمكين للاستعمار الأوروبي وتوسعه، فكانت عيونهم تجوس خلال بلاد الشرق.

ولم يكن ما كتبه مجرد تسجيل لانطباعاتهم، إذ نجد كثيراً من التفاصيل في عرض دقيق للمدن العربية وفحصاً للتقاليد وأنماط السلوك ودراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية لا تخلو من نوازع سياسية واستكشاف لما يحقق مصالح دولهم .

02- الآخر ورحلة الأغواطي

إن هذه المادة الإثنوغرافية التي قدمتها هذه الرحلات جعلت الكثير من الأقلام الغربية تتولي ترجمتها، فرحلة التيمقوتي إلى الجزائر طبعها ديك استري Decastries ثم نقل إلى الفرنسية الكثير منها . ورحلة العياشي لفتت أنظار الكثير من المستشرقين الذين نقلوها كاملاً أو جزئياً وأثنوا عليها من بينهم :

بربريقر Berbrugger "رحلة في جنوب الجزائر والولايات البربرية للشمال والشرق للعياشي ومولاي أحمد¹.

¹- ينظر العياشي ومولاي احمد، استطلاع علمي عن الجزائر - علوم تاريخية وجغرافية .

بريهامات Brihmat في "رحلة أبو سليم عبد الله العياشي" ¹.

أما رحلة الزباني فقد حرص الأب برجيس (Bargés) على نقل جزء منها إلى الفرنسية وهو المتعلق بتاريخ تلمسان معللاً ذلك بقوله أن هذا العرض التاريخي يقدم بعض التفاصيل لم توجد عند من سبقوه ، أو أنهم ذكروها لكن بصفة غير كافية ².

وقد نقل رحلة الأغواطي إلى الإنجليزية وليام ب. هود وسون ، ثم تلقفها مجلة "أخبار الرحلات الجديدة" الفرنسية لترجمها إلى الفرنسية، ثم ترجمها دافيزاك D'AVEZAC وقرأ الترجمة في جوان 1833م على أعضاء الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس . وقد كان الفرنسيون أكثر اهتماماً عندئذ بأفريقية من الأمريكيين كما يقول أبو القاسم سعد الله ³.

أما نصها الإنجليزي فقد نشره هود وسون في وقائع لجنة الترجمة من اللغات الشرقية، ثم عمدت مجلة "نورث أمريكا ريفيو" إلى تلخيصه سنة 1832م، وكان موضع اهتمام وتعليق الباحثين في هذا الميدان . وقد ذكر هود سون أن هذه الرحلة تحتوي على معلومات لم يسبق للأوروبيين أن عرفوها حتى أولئك الذين رحلوا وكتبوا عن أفريقية. كما أنه من أمر الحاج ابن الدين بكتابتها ودفع له مقابلها المالي يقول (موقعا باسم وليام ب. هود وسون وزارة الخارجية الأمريكية واشنطن، 3 سبتمبر 1830م) : لقد أعددت ترجمة لرحلة قصيرة في شمال أفريقية قام بها ابن الدين الأغواطي، وهذه الرحلة بطلب مني، وقد دفعت له الثمن . إنني أعتقد أن الرحلة تحتوي على معلومات تهم جغرافية إقليمية، بحيث تكون مفيدة للرحالة في المستقبل . إن معظم المدن والشعوب التي تحدث عنها ابن الدين غير معروفة معرفة جيدة ، بل إن بعضها لم يشر إليها أي رحالة.

¹ - ينظر بالحميسي المجلة ص 17 و 18

² - م نفسه، ص ص 36 37

³ - ابوالقاسم سعد الله م س 2011 ص 83

03 مخاطر النص الرحلي انثروبولوجيا:

01.03 مفهوم الأنثروبولوجيا

تعد الانثروبولوجيا حقلاً معرفياً اجتماعياً تاريخياً وثقافياً، تمثل كل التماثلات المعاشية الفعلية منها والمرجوة لدى الجماعات، والتي يعبر عنها بطريقة شفوية أو سلوكية، والدراسة الأنثروبولوجية لأي شعب من الشعوب لا تعد قفزة في فراغ متقطع ولا جريا وراء سراب معرفي يشكل تصوراً عشوائياً يرتطم بجدران معارف أخرى محيطة به أحياناً وبنفسه وتركيبه أحياناً أخرى لينطوي بذلك على رؤية أحادية غير مؤسسة على أي نوع من المرجعيات المعرفية/العلمية، بل هي كل متكامل يأخذ من هذا وذاك وتبنى نظراً الخاصة وتصوراً المؤسسة على آليات الاشتغال الأنثروبولوجي، لتتلاحق وبقية العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، لها أنها لم تخرج في إطارها العام، عن مرجعية إستشرافية نظراً إليها، في كثير من الأحيان بيد أن الملاحظ على كثير من الدراسات الأنثروبولوجية التي اتخذت من الجزائر حقلاً دراسياً كتكوين مقدس ومنظومة إيديولوجية وسوسيو ثقافية توفت تقديمها بوجه جاف، مشوهة سلسلة رباطاً الوجودية التاريخية والثقافية، عابثة بوحدة جذورها التاريخية العميقة، في شكل لا يستند إلى تأسيس علمي.

وهكذا تقبلنا في كثير من الأحيان تاريخنا الوجودي وسماته وأنماطه كما كتب عنه الآخرون دون تمحيص لما قدمه لنا المستشرقون، ولم نغد عن كشوفات الأريولوجية وعلوم الفيلولوجيا والتي لم تخضع حتى الآن لدراسة أكاديمية مقارنة تعيد إظهار الحقائق وتزيل ما تراكم عنها من غبار الاستشراق وغبار الزمن وتعميم الأيديولوجيا المركزية الاستشرافية، والتي قدمت لنا أنماطاً وجودية وتاريخية وثقافية كما تشتهي هي وليس كما هو واقع الحال¹.

مما أضحى من الضروري بمكان دراسة بنية الميثولوجية والأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية المعرفية للمجتمع الجزائري في تطوره التاريخي منذ عصور ما قبل التاريخ في تسلسل تاريخي ثيولوجي

¹-أنظر: حسن شحاتة سعفران، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) منشورات مكتبة العرفان، بيروت، 196م، ص33.

وثقافي بغية التأسيس الأنثروبولوجيا معرفية وحضارية لوجودنا الزماني والمكاني، عبر وحدة الخيال والذاكرة الجمعيين وبالتالي وحدة السيكولوجيا الجمعية، وصولاً للتأسيس للهوية الناجزة تاريخياً بما يقدمه ذلك من ارتكاز متين لإنجاز مشروع عضوي ثقافي/علمي/معرفي¹

وذلك باعتبار أنّ الأنثروبولوجيا تعد "علماً مهماً وأساسياً يؤهل الباحث إلى إقامة حوار مع الذات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأيدولوجية والعقائدية، ومعرفة كنهها وأسسها البنيوية ومنطقها الخاص بعيداً من تلك الأطروحات العرفية والإثنومركزية النيقة، فالأنثروبولوجيا تزود الباحث بطاقات معرفية ومنهجية لدراسة الذات الشعبية وكيانها المحلي والوطني كذات فاعلية ومتفاعلة مع نفسها ومع محيطها ومع الآخر، فاعلة ومتفاعلة تفاعلاً حراً ومتحرراً من قيود والإقصائية والتي تأسس أصلاً وفق المنطق أالصراعي"²، الثقافات الضاغطة والتي سحنت الفكر المعين الآن وللآخر ضمن تلك الثنائية العنيفة والمدمرة.

إن الأنثروبولوجيا تأهل الباحث , لإقامة الحوار وتزويده بالمعرفة و المنهجية , لدراسة الذات مع النفس و الآخر.

ويرى الباحث المصري في الأنثروبولوجيا حسن شحاتة سعفان "أننا لا نستطيع أن نفهم كثيراً من الظواهر والنظم والعادات الاجتماعية والتقاليد، إلا إذا رجعنا إلى علم الإنسانية ليعيننا على استيعابها واستجلاء أصولها والتغيرات التي طرأت عليها"³.

وقد أضحى من الضروري "إعادة إنتاج ميدان الأنثروبولوجيا وذلك من خلال عملية معقدة وطويلة هدفها نقض الشروط التاريخية والمعرفية الاستعمارية المكونة له بما هو أداة تعمل على

¹ - محمد سعيد في الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية 2006، 2007 ص 05.

² - محمد سعدي الأنثروبولوجيا نفسه، نفس الصفحة 5.

³ - أنظر: حسن شحاتة سعفان: علم الإنسان (أنثروبولوجيا) منشورات مكتبة العرفان، بيروت 1966 م ص 03.

استكشاف الأولويات التي تتحكم بالحركة التاريخية للمجتمعات الأخرى المسيطرة عليها"¹.

إن الانثروبولوجيا تعمل على الاستكشاف للمجتمعات للسيطرة عليها.

كما لا يمكننا البتة إنكار ما قدمه المستشرقون، بعضا لنظر عن النية الميئة سواء أكانت علمية أم كولونيالية- من دراسات في مجال الأناسة المعرفية في ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية خصوصا فيما يتعلق بالمعتقدات الشعبية فيما يخص الأضرحة والأولياء"².

وذلك قام به البعض في مجال جمع التراث الشعبي الأدبي، خصوصا منه الشعر الملحون"³، ومع أنّ الباحثين الغربيين قد قدموا خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين خدمات جليلة في ميدان الإناسة (الأنثروبولوجيا) المعرفية والاجتماعية الجزائرية، وذلك عن طريق تعمقهم في دراسة التراث الشعبي الجزائري عموما، إلا أنّ نظر الأمور ظلت في غالبيتها مطبوعة بطابع غربي، إذ لم تستطع أن تسير أغوار وأعماق الفكر لدى هذه الشعوب- أي الشعوب العربية عموما. لعدم قدرا على تفهم كل ما يتضمنه التراث الشعبي من تجارب ورؤى وتصورات، بالإضافة إلى أن ظهرت فئة من الباحثين حاولت متعمدة إبراز كل من شأنه أن يلحق الضرر بالشعب الجزائري خصوصا والعربية عموما"⁴، الباحثين الغربيين قدموا خدمات مهمة في الانثروبولوجيا لتعمقهم في دراسة التراث الشعبي، وكشفوا كل من كان يريد الضرر للشعب الجزائري أما مخاطر النص الرحلى، انثروبولوجيا فكانت تكمن في الاستعمار من طرف القنصل الأمريكي. لأنها كانت بطلب منه للاغواطي مقابل دفع ثمن.

¹ - محمد حسن دكروب: الأنثروبولوجية الذاكرة والمعاش، دار الحقيقة-بيروت، لبنان ط2- 1991م ص09.

² - cauvet. M ,les marabouts ,funéraires et votifs du nord de,africane n 64 ,année

1923 .Edmond doute :Notes sur l islam maghribin,Ernest Renn ,Marabouts

Klouans

³ - ينظر: الديوان المغربي في أقوال شمال إفريقيا والمغرب للنشر، الجزائر، 1991، إدمون ياقيل، مجموع زهو الأنيس المختص بالتباسي القوادس، الجزائر، 1907، ص

⁴ - مصطفى أوشاطر: الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، رسالة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2002- 2003، ص03.

02.03 مخاطر المادة الإثنوغرافية في النص الرحلي

إن ما اشتملت عليه هذه الرحلات من موضوعات تتصل بوصف الأقاليم و طبائع البشر، وطرائق الحياة، ولغات أو لهجات هي أمور رئيسية في الوصف الإثنوغرافي لأسلوب حياة مجتمع ما كانت المادة الدسمة التي لفتت انتباه الغرب لتلقفها والاهتمام بأمر ترجمتها ودراستها بل والنبش فيها بعد التكليف بكتابتها وفق مقاسات محددة تستجيب للغاية المتوخاة . فحركة العربي في مجتمع عربي تتسم بالحرية، وإتقانه لذات اللغة، وفهمه لدين العرب وعاداتهم وتقاليدهم وتجعل رحلته أكثر إلماما، بل تجعلها حفرية معرفية متأصلة تعين الآخر على معرفة كل خصوصيات الشرق من الداخل .

فالأمر يتجاوز حدود الترجمة لمعرفة الشرق، بل إن الدراسات الاستشرافية و إيفاد البعثات كانت تحظى بالدعم الرسمي المخطط له، والدراسة التي أنجزتها فرانسيس ستونر عام 1999 وعنونتها ب "من دفع أجرة العازف ؟ لتفضح بذلك دور المخبرات الغربية في تمويل هذا النوع من الدراسات . والعنوان هو جزء من مثل إنجليزي يقول "من يدفع أجر العازف يختار اللحن " فالمخبرات الغربية هي التي كانت تتولي دفع أجر العازف بسخاء، لكن مع اختيار الألحان التي عزفها الجميع¹ . وتفضح أحداث الإضرابات التي شنها الطلاب الأمريكيون في خريف عام 1968 م، حين علموا أن جزءا كبيرا من ميزانيات أقسام اللغويات في الجامعات الأمريكية الكبرى تأتي من المخبرات في الشؤون الجامعية . ف"ماذا كانت أهداف المخبرات الغربية من وراء ذلك التمويل ؟ كان طلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام الذين ينتمون إلى ثقافات ولغات العالم الآخر "غير الغربي، يوجهون لكتابة أطروحاتهم التخصصية عن لغاتهم بل لهجاتهم المختلفة . و في نهاية الأمر تصب هذه الأطروحات والدراسات المتخصصة في مراكز المعلومات المعنية في جهاز المخبرات للاستفادة منها في دراسة تلك اللغات بلهجاتها المختلفة ، ومن ثم في تسهيل عمليات الاختراق للثقافات القومية في شتى أنحاء العالم"² .

¹ -حمودة 32011 ص73

² حمودة م سابق ص ص 73.74

لذلك ألفينا المستشرق العاكف على دراسة اللهجة البربرية هود وسون يكلف الأغواطي ويدفع له مقابل التقرير المفصل المحدد بتلك الشروط الضابطة .

يعلن كيرزون في سبتمبر 1909م أمام مجلس اللوردات البريطاني قائلاً : معرفتنا بلغات شعوب الشرق فقط بل بعاداتهم ومشاعرهم وتقاليدهم وتاريخهم ودينهم، وقدرتنا على أن نفهم ما يمكن أن يسمى عبقرية الشرق، تمثل الأساس الأوحده الذي يمكننا من الحفاظ في المستقبل على الموقع الذي فزنا به .¹ ويقول بعد خمس سنوات من هذا في مؤتمر مانش هاوس : إن الدراسات الشرقية ليست ترفاً فكرياً، ولكنها التزام إمبراطوري كبير، فأنا أرى أن إنشاء مدرسة مثل هذه في لندن يمثل جزءاً من الأثاث اللازم للإمبراطورية . إن أبناء جلدتنا الذين قضوا بصورة ما عدداً من السنين في الشرق، ويرونها أسعد سنوات حياتهم ويعتقدون أن العمل الذي قمنا به هناك مهما بلغ حجمه، يمثل أرفع مسؤولية يمكن إلقاؤها على كواهل الإنجليز، يشعرون بوجود ثغر في جهازنا القومي و بأنه لا بد بكل تأكيد من سد هذه الثغرة، وبأن رجال الأعمال في مدينة لندن الذين سوف يشاركون في سدها بتقديم الدعم المالي أو أي شكل آخر من أشكال المعونة النشطة والعملية سوف يؤدون واجباً وطنياً نحو الإمبراطورية ويعززون القضية .² ويعلق ادوارد سعيد يقول : و أفكار كيرزون عن الدراسات الشرقية مستقاة إلى حد كبير، بصورة منطبقة من حصاد قرن كامل من الإدارة البريطانية النفعية للمستعمرات الشرقية والفلسفة الناشئة حولها .

¹ سعيد ادوارد 2006 ص 335

² ادوارد سعيد ادوارد م نفسه ص 336

خاتمة

من خلال هذا العمل المتواضع الذي حاولنا الوقوف على الرحلة وأدبها وتقنية الوصف فيها، إتضح لنا أن أدب الرحلة جنس أدبي لم يحظ بالدرس لدى القدماء، ولم يجنس داخل الأجناس والأنواع المتفرعة عنها، والمتتبع للرحلات الجزائرية بخاصة يجد أن الأدب الجزائري قد حفل بهذه الرحلات بدليل تعدد رحلات الجزائريين لما لها من أهمية بالغة، وهي تملك بعدا أدبيا متميزا، وتحمل قيما علمية وثقافية ذات شأن عظيم . ورحلة الأغواطي استكشاف لمحيط الإنسان الجزائري جغرافية وتاريخا وعادات وتقاليد ومعتقدات، ويمكن حصر أهم النتائج فيما يلي :

*الرحلة نص أدبي سردي بامتياز

*أدبية الرحلة تتحقق بتوافر تقنيات السرد .

*الرحلة نص متعدد الأبعاد أدبيا وعلميا، والأدبية تتمثل في صياغة الرحلة وتدوينها، ونقلها من حركة مادية الى خطاب لغوي .

*يتداخل خطاب الرحلة مع عدد من الأشكال التعبيرية الأخرى مثل السيرة الذاتية وأدب المذكرات، وتختلف الرحلة عنهما بكونها حكاية لتجربة قصدية لها أهدافها.

*أدب الرحلة يؤدي دورا هاما في معرفة حضارة الانسان فلولاها ما كنا نسمع بابن بطوطة ولا غيره من الرحالة العلماء .

*تعتبر رحلة الأغواطي الحاج بن الدين قطعة تراثية مهمة في جغرافية وتاريخ وعادات وتقاليد الانسان الجزائري في زمان ومكان محددين .

*تضم هذه الرحلة وثائق لاغنى عن الباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والديني عنها، فهي مصدر توثيقي هام .

* تشكل رحلة الحاج بن الدين الأغواطي فنا قائما بذاته زاخرا بالكثير من المعلومات التي تهم المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع، فأهميتها تتجلى بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي، مكتوبة

بأسلوب خال من التعقيد والاساطير والغموض، المعتمد على السماع والمشاهدة في ملاحظة مختلف الظواهر.

*رحلة الأغواطي خير حافظ لما لم يوثقه المؤرخون عن تاريخ الجزائر وجغرافيتها ومعالم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية، إلا أن بعضها كان مفخخا وشكل تعرية وكشفا سافرا هياً للمستشرقين والاستعمار تنفيذ مخططاته .

*المادة الإثنوغرافية في المتن الرحلي كانت وجهة المسشرقين، فقد كانت معيناً ثراً نهلوا منه لاستخلاص ما يخدم نواياهم المغرضة .

*إن المتن الرحلي سيف ذو حدين، وبخاصة في حقبة وعصر الأغواطي، فهو فترة عصيبة من تاريخ التخطيط للإجهاز على تركة الرجل المريض .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن بطوابة محمد ابن عبد الله / الرحلة / ج 1 درا الإحياء العلوم بيروت . ط 1 / 1987
2. ابن جبير الرحلة . بعد ع سليم بابا عمر/موقيم للنشر الجزائر / د ط 1988
3. ابن منظور ، لسان العرب تح عبد الله علي الكبير وآخرون مج 03 ج 18 دار المعارف، القاهرة د / ط د/س
4. أبو الفتوح محمد التواتي ، ياقوت الحموي الجغرافي ، الرحالة الأدبي الهيئة المصرية ط 2 / 1970 / 173
5. أبو القاسم سعد الله، مجموع الرحلات، رحلة الأغواطي، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر 2011 في اطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية
6. أبوراس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990.
7. أيد الريكان بن أحمد البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مر ذولة ، ط مجلس دائرة و المعارف العثمانية جيدر أباد 1958.
8. بشرى محمد صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء.
9. الجرجاني / علي بن محمد السيد الشريف الجرحاني التعريفات ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة 2010
10. جيارر جينات ، حدود المحكي ، ، مجلة آفاق ، اتحاد كتاب المغرب ، ع 08 ، 1988 ،
11. الحاج بن الدين الأغواطي. رحلة في شمال إفريقيا والسودان، تر: اودسون إلى الإنجليزية وتر: أبو القاسم سعد الله إلى العربي، منشورة في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 1986،
- حتم الصكر ، ترويض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 199
12. حسن شحاتة سعفان: علم الإنسان (أنثروبولوجيا) منشورات مكتبة العرفان، بيروت 1966م
13. حسن نجمي، شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000،
14. حسين محمد فهيم ، ادب الرحلات ، عالم المعرفة 138، المجلس الوطني للثقافة الكويت 1978

15. حمد الهادي الحسني ، البشير الابراهيمي في عيون معاصريه ، ط01 2007 ،
16. الديوان المغربي في أقوال شمال إفريقيا والمغرب للنشر، الجزائر، 1991،
17. سعيد ادوارد الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق تر محمد عثمانى 2006.القاهرة
18. سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق العربي في الادب الجزائري ، دراسة في النشأة والتطور ، دار الهدى الجزائر 2009
19. سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، مكتبة غريب دط القاهرة . د ت
20. سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، دار الكتاب القاهر 2004/
21. الشافعي الدويان تح ، خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة 2015
22. شريط احمد ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبه الجزائر ، 2009 ، الشوايكة 2008 .
23. شوقي ضيف، أدب الرحلات، دار المعارف القاهرة ط01 1965.
24. عب النبي ذاكر ، المحتمل في الرحلة العربية الى اوربا وامريكا الشمالية والتحاد السوفياتي ، دكتوراه دولة 1998 اشراف سعيد علوش المغرب .
25. عبد الحميد بن باديس ، مقالات ، إعداد وتصنيف عمار طالبي ، ط01، الشركة الجزائرية للطباعة 1968.
26. -عبد الرحيم موزن ، مستويات الرد في الرحلة المغربية خلال القرن 19 دكتوراه الرباط 1996 اشراف احمد الطرابلسي
27. عبد الفتاح كليطو ، المقامات /ترجمة عبد الكريم الشرقاوي ، دار طوبقال 1993
28. عبد اللطيف محفوظ ، وظيفة الوصف في الرواية ، الدار العربية منشورات الاختلاف ، ط01 ، الجزائر 2009 .
29. عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع 2009 د ط
30. عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1998 .
31. عبد الهادي التازي ، ابن بطوطة أمير الرحالة ، الدار العربية للنشر ، الكويت ، ط 01 سنة 2002.

32. عمر بن قرينة رحلات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، دار الأمة للطباعة والنشر، ط02، 2009م
33. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2008
34. غريد الشيخ، الأدب المهادف في قصص وروايات غالب خمزة أبو الفرج، قناديل، ط 01، 2004
35. الفراهيدي كتاب العين ب ط 1988. ج 01 القاهرة
36. فيصل غازي، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض سواداء لعبد الرحمان منيف، دار مجدلاوي، ط 01، 2010،
37. قدامة بن جعفر، نقد الشعر تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998،
38. ك / غير محدود وغير معروف. الديوان المغرب في أقوال عرب افريقيا والمغرب دار النشر الجزائر 1991.
39. كراتشوفيسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة من الروسية: صالح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1987،
40. مجموع الرحلات لأبي القاسم سعد الله، المعرفة الدولية لنشر الجزائر، طبعة خاصة، 2011،
41. محمد الحاتمي، الرحلات المغربية العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط المغرب 2012 .
42. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية، دار الكتب الوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 2007،
43. محمد حسن دكروب: الأنثروبولوجية الذاكرة والمعاش، دار الحقيقة-بيروت، لبنان ط2- 1991م
44. محمد حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة 1989.
45. محمد سعيدي الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية الجزائر 2013.
46. محمد عابد الجابري / يقظة الوعي العروبي في المغرب مؤسسة الطباعة و النشر،الدار البيضاء المغرب ط 1 / 1988 .
47. المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجواهر ج 1، الملكية العصرية
48. مصطفى عبد الغني، من أدب الرحلات: مشرق ومغرب الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2007،

49. المقري ، ابوالعباس ، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تح / احسان عباس ، دار صادر ج 01 . .
50. الملتقى الدولي للبشير الابراهيمي ، ، بطاقة حياة ، محمد عمارة دار الغرب الاسلامي ط01 ، 2006 م
51. الموسوعة العالمية فرنسا 2002
52. ناصر عبد الرزاق المواني ، الرحلة في الادب العربي حتى نهاية ق 04 ، مكتبة الوفاء ، القاهرة ط01 ، 1995
53. نوال عبد الرحمان الشوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري. 2016
54. يدموز يافيل ، مجموع زهو الأنيس المختص بالتباسي والقوادم ، الجزائر، 1907.

الدوريات

- 1- اسماعيل ديوشي ، تقنيات السرد ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد 08 جامعة محمد خيضر بسكرة .2005.
- 2- جيار جينات ، حدود المحكي ، ، مجلة آفاق ، اتحاد كتاب المغرب ، ع 08 ، 1988 .
- 3- الرحلة طبعت في لندن، بدون تاريخ ثم لخصت ذلك تلخيصًا وافيا (مجلة أمريكا الشمالية) يوليو 1832، وقد ترجمت هذه الخلاصة إلى الفرنسية في (حوليات الرحلات الجديدة) نوفمبر 1832 .
- 4- قفصي فوزية / شعرية الوصف في ادب الرحلة ، مجلة التواصل في اللغات والاداب ، عدد 37 مارس 2013 م الجامعي الطارف .
- 5- المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد: 13 جوان 2015 م .
- 6 - لطيف الزيتوني " السيميولوجيا و الأدب ، مجلة الفكر م ج 24 ، ع 3 ، كويت 0.1996
- 7- محمد بن محمدن /الرحلات الاستكشافية /مجلة العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة / عدد 20 /ديسمبر 2003.
- 8-مجلة العلوم الانسانية ، جامعة الامير عبد القادر ، علاوة عمار ع: 106 اكتوبر 2005 .

المخطوطات

1- محمد سعيد في الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية 2006، 2007.

02- مصطفى أوشاطر: الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، رسالة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2002 - 2003،

المواقع الإلكترونية

[http:// www.sidielhadjaissa. Com/ articale 54811960.](http://www.sidielhadjaissa.Com/articale/54811960)

<http://vb.tafsir.net/tafsir23683/vfc6fgf8bfbw>

www.sd.zain.com

<https://www.mominoun.com/articles/>

https://www.aljabriabed.net/n87_05hatimi.htm

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

فهرس الموضوعات

مقدمة

مدخل أدبية الوصف في الأدب الرحلي

13.....	مفهوم الأدبية
13.....	-أدبية الرحلة
16.....	- أدبية الوصف
19.....	-علاقة الوصف بالسرد
20.....	-وظائف الوصف وأشكاله

الفصل الاول : الرحلة المسار والتطور

23.....	المبحث الاول : مسار في الزمان والمكان
23.....	بين الرحلة وأدب الرحلة
26	الرحلة بين القديم والحديث
29.....	المبحث الثاني : دوافع الرحلة وأنواع الرحلات
30.....	أنواع الرحلات - العلمية
31.....	- الحجازية الحج
33.....	- الاستكشافية الاستطلاعية.....
36.....	-دوافع الرحلة
38.....	المبحث الثالث :مقومات السرد وتقنيات الأدب الرحلي
38.....	المقومات والخصائص في أدب الرحلة
39.....	تقنيات السرد في أدب الرحلة

- 42..... الانثروبولوجيا وأدب الرحلة.
- 42..... - المفهوم والدلالة.
- 43..... - المضمون الانثروبولوجي في كتابات الرحلة
- 43..... المبحث الرابع : الرحلة والرحالة في الجزائر

الفصل الثاني

مضامين الرحلة وتقنية الوصف فيها وتلقي الآخر

- 49..... المبحث الاول : التعريف بالرحلة وصاحبها
- 49..... التعريف بصاحب الرحلة (الحاج بن الدين الاغواطي)
- 51..... دافع الرحلة
- 53..... علاقة المؤلف بالقنصل الامريكى أديسون ودافعية الرحلة
- 54..... المبحث الثاني : مضامين رحلة الاغواطي
- 57..... الجوانب الاقتصادية في النص الرحلي
- 57..... صورة المجتمع الصحراوي في الرحلة
- 62..... المبحث الثالث قيمة الرحلة وتقنية الوصف فيها
- 62..... قيمة هذه الرحلة (الرحلات
- 67..... تقنية الوصف في الرحلة.
- 71..... المبحث الرابع: تلقي الآخر للرحلة ومخاطر ذلك
- 73..... -تلقي الآخر (الغربي) لهذه الرحلة
- 74..... مخاطر النص الرحلي انثروبولوجيا

74.....	مفهوم الانثروبولوجيا
78.....	مخاطر المادة الاثنوجرافية في النص الرحلي
81.....	الخاتمة
84.....	المصادر والمراجع
88.....	الفهرس
91.....	الملخص
92.....	الملحق

يعدُّ أدب الرحلة ذخرا معرفيا كبيرا، ومخزنا للذات الحضارية، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الواقعي والغريب مما شاهدته عيون تسافر وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويتفكر فيها. فالطبيعة والمكان والانسان والحياة، كل ذلك حاضر بقوة من خلال رحلة الاتصال واتصال الرحلة.، ليجد الباحث والدارس في مجالات عدة مادة دسمة يستطيع من خلالها الوصول الى مبتغاه من خلال هذه الرحلة أو تلك . وتقنية الوصف عنصر هام في الأدب الرحلي وقد عمدته الاغواطي بطريقة وظيفية، فهل حققت الرحلة شيئا في الأنا ام حققت له لدى الآخر؟

Abstract

The travel literature is a great cognitive asset, a storehouse of the civilized self, as well as an interesting narrative material that contains the real and the strange from what eyes have seen traveling and souls are excited by what they see, and an awareness that knows things, analyzes them and thinks about them. Nature, place, man and life, all of this is strongly present through the journey of communication and the connection of the journey., so that the researcher and the student find in several fields a rich substance through which he can reach his goal through this or that journey. And The technique of description is an important element in the nomadic literature. Al-Aghouati baptized it in a functional way. So did the journey achieve something in the ego or did it achieve it in the other?